

لُبَابُ النُّقُولِ

في تأويل حديث النزول

الشيخ عماد الدين جميل حليم الحسيني

الشافعي الأشعري



شركة دار المناسك

لُبَابُ النُّقُولِ

فِي تَأْوِيلِ حَدِيثِ النُّزُولِ

الشيخ عماد الدين جميل حليم الحسيني
الشافعي الأشعري

سَامِعَةُ الْبَلَاءِ

مُلْتَزِمُ الطَّبَعِ

شَرِكَةُ دَاوُدَ الْمُسْتَأْجِرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالنَّوْزِيعِ ش.م.م

الطبعة الأولى

٢٠١١هـ / ١٤٣٢ ر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن،
وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد سيد
المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد:
فإن الإيمان بالله تعالى هو أولى ما ينبغي للمرء أن يحرص عليه، فهو
أفضل الأعمال، وأنفس النعم والمنن، ومفتاح النجاة من الهلاك في
الآخرة، ولذا كانت صيانة العقيدة أولى ما يتنافس في الحرص عليه،
ولا سيما عند ظهور أصحاب البدع والأهواء الضالة، المشوشين على
أهل الحق، المموهين على العامة بما يثبتونه من سموم شبهاتهم ليحرفوا
عقيدتهم، ويغرقوهم في مستنقعات التشبيه والكفر رافعين تارة اسم
السلف الصالح، وتارة اسم أهل الحديث، وتارة اسم شيخ الإسلام
فلان، أو الحافظ فلان، وتارة بالمجاهرة بالانتساب إلى الإمام المبجل
أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فيقولون: هذه عقيدتنا، نحن
الحنابلة، ويوردون تحت هذا الاسم عقائد التشبيه والتجسيم، كذبا
على هذا الإمام وافتراء، وزورا وباطلا وبهتاناً، كما فضحهم من قبل
إمام الحنابلة في عصره، شيخ العراق وواعظ الآفاق الحافظ العلامة
المفسر المتكلم الإمام ابن الجوزي القرشي الحنبلي في كتابه النفيس «دفع
شبه التشبيه بأكف التنزيه»، فقال يصف حالهم وكذبهم: (الطويل)
وجاءك قوم يدعون تمذهباً بمذهبه، ما كل فرع له أصل

ومالوا إلى التشبيه أخذًا بصورة الذي نقلوه في الصفات وهم غفلُ وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال إلى تصديقهم من به جهلُ فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا لعمري لقد أدركت منهم مشايخًا وأكثر من أدركته ما له عقل!

ويكفي هذه التَّحَلَّةُ خزيًا أنها رمت بالكفر والجهل والضلال عددًا من أعلام الأئمة ونجوم الأئمة، فكفاهم خزيًا تكفيرهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، والحافظ محيي الدين النوي، وفتح القسطنطينية، السلطان الميشر بالفتح، المخصوص بالمدح، الخليفة محمد الفاتح وغيرهم من السادة الأكابر!

ومما هو دأب هؤلاء المشوشين الخوض بين الناس والعوام باستنزاهم إلى ظواهر النصوص المتشابهة من القرآن والحديث، لإقناعهم بنسبة الجهة والحركة إلى الله تعالى، وعمدَّتْهم في ذلك حديثان واردان في الصحيح: حديث الجارية، وحديث النزول.

وأما حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ولفظ البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»، فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول

من علو إلى سفلى في حق الله تعالى.

ومن الناس كالمشبهة مدعي السلفية - من يفسر هذا الحديث بأن الله ينزل من علو إلى سفلى ثم يتكلم بهذا الكلام. إنَّ فهمهم هذا يدل على سخافة عقولهم، وذلك لأن الليل يختلف باختلاف البلاد، فعلى قولهم يلزم أن يكون الله تعالى في السماء الدنيا طالماً إلى العرش كل لحظة من لحظات الليل والنهار، وهذا سخافة عقل، أما عند أهل الحق الذين ينزهون الله عن الجهة والحد فإن هذا النزول ليس نزولاً حسيّاً بل هو عبارة عن نزول ملائكة الرحمة إلى السماء الدنيا بأمر الله على حسب ليل كل أرض، فهؤلاء الملائكة ينزلون ثم يبلغون عن الله يقولون: إن ربكم يقول: هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هم يبلغون عن الله بأمره ذلك إلى أن يفجر الفجر، وهذا شيء يقبله العقل أما ما يقوله المشبهة فهو شيء لا يقبله الشرع ولا العقل وهذا التأويل أخذه أهل السنة والجماعة من رواية النسائي: «إن الله يُمهّل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً ينادي هل من داع فيستجاب له وهل من مستغفر فيغفر له وهل من سائل فيعطيه»، هذه الرواية الصحيحة تفسر الرواية الأخرى، لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله تعالى ليبلغوا عنه عبّر الرسول عن ذلك بوحى من الله بعبارة «ينزل ربنا» إلى آخره؛ كلتا العبارتين أوحى بهما إليه، ولذلك نظير في القرآن قال الله تعالى في حق آدم وحواء: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ فإن

المعنى: أم الملك بَلَّغَهَا ذلك عن الله، وفي ذلك دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردّ اعتراض بعض المجسمة على رواية النسائي الصحيحة لحديث النزول، حيث إن بعض الزائعين قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له، وإنا نرد كلامه بقولنا: كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء مضافاً إليه بقوله عز وجل: ﴿وَنَادَاهُمَا رُبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، كذلك يحمل حديث النزول في روايته المشهورة على رواية النسائي، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه «من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه»، بل المعنى أن الملك ينزل إلى السماء الدنيا بأمر الله ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه، كما أنه ليس معنى الآية أن آدم وحواء سمعا ذاك من الله لأن آدم لم يكن نبياً في ذلك الوقت وحواء ليست نبيه، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْكَ يَوْمَ يَسَأُكَ لِسَانُكَ لِمَتَّعَلَّ يَوْمَ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغَ قُرْآنَهُ (١٨)، ليس معناه على ظاهر اللفظ، بل معنى الآية: فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومن هذا الذي يظن أن الله كان يقرأ على الرسول القراءان كما يقرأ المعلم على التلميذ؟! وبهذا التفسير يُحل الإشكال الذي يورده بعض هؤلاء الزائعين. وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في

زمانه بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» عن حديث النزول المذكور آنفاً: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه: الأول: النزول من صفات الجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقل ومنتقل عنه ومنتقل إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قوهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ولا يقول ذلك ذولب وتحصيل.

الثالث: إن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملاءه كيف تسعه سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين؛ انتهى.

وقال الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» - الذي فضح فيه سلف ابن تيمية في تشبيه الله بخلقه، وبيّن رحمه الله براءة الإمام أحمد رضي الله عنه من المشبهة - بعد أن ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير، وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن

النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعاً. ثم قال الإمام ابن الجوزي: «قال ابن حامد - وهو أحد أسلاف ابن تيمية في التجسيم والتشبيه - هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل، قلت - أي ابن الجوزي - وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى، ومنهم - أي المشبهة - من قال يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق، وقد حكوا عن أحمد - أي ابن حنبل - ذلك وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته تعالى قديمة أي أزلية لأن الله أزلي لا بداية له وهو موصوف بصفات الكمال اللاتئة به سبحانه أزلاً وأبداً لأنه تعالى منزّه عن النقائص» اهـ.

وقد قال الإمام الفقيه أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرحه حديث النزول: «إن النزول الذي هو تَدَلُّ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت هو صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده واستجابته دعائهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾».

وقال في موضع آخر: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» اهـ.

وقال في شرحه على سنن أبي داود راداً على من وصف الله بالحركة: «والله سبحانه لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والعز وجل متعال عنهما ليس كمثله شيء، وإنما ذكرت هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيراً ولا يفيد رشداً، ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بما لا يجوز من الفاسد محال» اهـ.

وقد ذكر رحمه الله ذلك بعدما ذكر حديث النزول؛ ولا يخفى على من مارس شيئاً من علم الرجال أن أبا سليمان الخطابي من أئمة اللغة والفقه والحديث ووافقه في قوله صاحب لسان العرب حيث يقول في مادة «نزل» عند ذكره حديث النزول ما نصه: «النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس؛ والمراد به نزول الرحمة والألطف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله عز وجل وافرة، وذلك مظنة القبول والإجابة» اهـ.

وروى البيهقي عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه سئل عن حديث النزول فقال رضي الله عنه: «النزول بلا كيف».

وروى كذلك البيهقي عن المزني: «إن المجيء والنزول صفتان

منفيتين عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لحديث النزول: «إن من حمله على ظاهره وحقيقته هم المشبهة تعالى الله عن قوهم»، ثم نقل عن البيضاوي أنه قال: «ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه فالمراد نور رحمته»، وأقره الحافظ ولم يتعقبه.

وقال القسطلاني في شرح البخاري^(١) عند ذكره لهذا الحديث: «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله، فهو نزول معنوي»، ثم قال: «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعاً إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه» اهـ. ومثله قال أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي عند ذكر حديث النزول^(٢).

ثم إن الذي يتشبه بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية،

(١) (٣٢٣/٢)

(٢) (٢٣٥/٢)

وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَجُلَيْنِ أَتَيْنَاهُمَا عَنْ يَمِينِكُمَا الشَّجَرَةَ﴾ أن آدم وحواء التي لم تكن نبيه قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله؛ ومن هذا الباب أيضًا قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، فإن الله أضاف الكتابة إلى نفسه لأنه هو الأمر بها، أمر بها الكتبة من الملائكة وليس من صفات الله الكتابة أو القراءة كما سبق وبيناه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْمِعْ قُرْآنَهُ﴾، ثم إن خزنة جهنم من الملائكة هم الذين يقولون للكفار: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وليس المراد أنه تعالى يسمع الكفار كلامه الذاتي الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت، وإنما أضيف هذا القول إلى الله لأنه تعالى هو الذي أمر به كما ذكره المفسرون كالنسفي وغيره ولو أردنا تتبع هذا الباب لكان شيئًا كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فهل يفهمون من قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾ في هذه الآية أن الله أسمع اليهود الذين مسخهم قرده كلامه الذاتي الأزلي كما أسمعه

موسى عليه السلام أم أنهم يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها ويقولون إن المراد «جعلناهم قردة خاسئين» وأن هذا مجاز كما في حاشية الشهاب على البيضاوي وغيره من كتب التفسير؛ وقد قال الإمام الزبيدي في «إنحاف السادة المتقين» ما نصه: تكميل، ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنبر الإسكندري المالكي في كتابه «شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرّر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ «لا تفضلوني على يونس بن متى» فقال مالك: إنما خص يونس بالتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رُفِعَ إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتها مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جلّ جلاله نسبة واحدة؛ ثم بيّن رحمه الله أن الفضل بالمكانة لا بالمكان. - والمراد بهذا البحث إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة والحيّز. -

فائدة:

قال الإمام أبو نصر الفشيري في التذكرة الشرقية: «فإن قيل أليس الله يقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فيجب الأخذ بظاهره، قلنا: الله يقول أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ويقول تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾. فينبغي أيضًا أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطًا بالعالم محدّدًا به بالذات في حالة واحدة، والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان. قالوا: قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني بالعلم، «وبكل شيء محيط» إحاطة العلم قلنا: وقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قهر وحفظ

وأبقى، ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيئات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهالة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيُّر واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن الباري تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول الرب بالعرش استوى، فالرب إذا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة ومنزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة. وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزاهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون - والعياذ بالله - : «نحن نأخذ بالظاهر ونحمل الآيات الموهمة تشبيهاً والأخبار الموهمة حدًا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك» ويتمسكون (على زعمهم) بقول الله تعالى ﴿وَمَا يَكْمُلُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾: وهؤلاء - والذي أرواحنا بيده - أضّر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدية الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والانتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهريهم يبادر بوهمه إلى تحيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسأل به

السَّيْلُ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، إِنَّمَا يَرِيدُ بِهِ وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرَسَاها وَمَتَى وَقُوعُها، فَالْمُتَشَابِهُ إِشَارَةً إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ فَلَيْسَ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، أَيُّ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا قِيَامَ السَّاعَةِ، وَكَيْفَ يَسُوغُ لِقَائِلَ أَنْ يَقُولَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا سَبِيلَ لِلْمَخْلُوقِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَدَحِ فِي النَّبَوَاتِ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا عَرَفَ تَأْوِيلَ مَا وَرَدَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَعَا الْخَلْقَ إِلَى عِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، فَإِذَا عَلَى زَعْمِهِمْ يَجِبُ أَنْ يَقُولُوا كَذَبَ حَيْثُ قَالَ «بِلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا عَنْهُمْ إِلَّا فَأَيْنَ هَذَا الْبَيَانُ؟! وَإِذَا كَانَ بَلُغَةُ الْعَرَبِ فَكَيْفَ يَدْعِي أَنَّهُ مِمَّا لَا تَعْلَمُهُ الْعَرَبُ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ عَرَبِيًّا، فَمَا قَوْلُ فِي مَقَالِ مَالِهِ إِلَى تَكْذِيبِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ؟! ثُمَّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَوْ كَانَ فِي كَلَامِهِ وَفِيهِمَا يَلْقِيهِ إِلَى أُمَّتِهِ شَيْءٌ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لَكَانَ لِلْقَوْمِ أَنْ يَقُولُوا بَيِّنْ لَنَا أَوَّلًا مَنْ تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمَا الَّذِي تَقُولُ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِمَا لَا يَعْلَمُ أَصْلَهُ غَيْرَ مَتَأَتٍ، وَنَسْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَنَّهُ دَعَا إِلَى رَبِّ مَوْصُوفٍ بِصِفَاتٍ لَا تَعْقِلُ أَمْرَ عَظِيمٍ لَا يَتَخِيلُهُ مُسْلِمٌ، فَإِنَّ الْجَهْلَ بِالصِّفَاتِ يُوْدِي إِلَى الْجَهْلِ بِالْمَوْصُوفِ، وَالْغَرَضُ أَنْ يَسْتَبِينَ مَنْ مَعَهُ مَسْكَةٌ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يَقُولَ مَنْ يَقُولُ: «اسْتَوِئْهُ صِفَةً ذَاتِيَّةً لَا يَعْقِلُ مَعْنَاهَا وَالْقَدَمُ صِفَةً ذَاتِيَّةً لَا يَعْقِلُ مَعْنَاهُ» تَمْوِيَهُ ضَمْنَهُ

تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل، وقد وضع الحق لذي عينين وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الإنكار في كل شيء وفي كل آية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى، فإن امتنع عن التأويل أصلاً فقد أبطل الشريعة والعلوم إلا ما كان نحو قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأنَّ ثمَّ أشياء لا بد من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملاحدة الذين قصدتهم التعطيل للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدي إلى إبطال ما هو عليه من التمسك بالشرع بزعمه، وإن قال يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا مصير منه إلى أن ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالله وصفاته يجب التقاضي عنه وهذا لا يرضى به مسلم.

وسر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا فليقل المحقق هذا كلام لا بد من استبيان، قولكم: نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض، إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر؟! ألسنت قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون أخذاً بالظاهر وإن قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلاً

فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلته فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق. وقد قيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فكأنه قال والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون ءامنا به فإن الإيمان بالشئ إنما يتصور بعد العلم أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت. ولهذا قال ابن عباس: «أنا من الراسخين في العلم» انتهى كلام القشيري.

ويؤيده قول رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» رواه ابن ماجه.

وقد ظهر مصداق دعوة النبي ﷺ لابن عباس حيث إنه - رضي الله عنهما - أول قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَبْتَثِيرُ﴾، قال ﴿يَبْتَثِيرُ﴾ أي بقوة، رواه ابن أبي طلحة في صحيفته عن ابن عباس، وكذا أول ابن عباس قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال يوم يكشف عن كرب وشدة، رواه الخطابي في شرح صحيح البخاري والحاكم وصححه وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري.

اعلموا رحمكم الله أنه لا مانع لغة ولا شرعاً من تأويل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقد ذكر الراجب الأصفهاني في المفردات

في غريب القراءان، والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ والزبيدي في تاج العروس شرح القاموس حيث نقل عن الراغب قوله: إن لفظ استوى متى عدّي بعلی اقتضى الاستيلاء، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ اهـ. ونقله مقرّا له حيث لم يتعقبه وذكره الجوهري في الصحاح والرازي في مختاره وغيرهم كأبي بكر بن العربي المالكي والغزالي.

والسبكي الحافظ الإمام اللغوي النحوي حيث يقول: «والمراد بالاستواء كمال الملك وهو مراد القائلين بالاستيلاء»، ثم يقول السبكي: «فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه»، ثم يقول السبكي: «إن الجلوس والقعود من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك، والله تعالى منزّه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد له به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره. واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبداً، والعرش وما تحته حادث، فاتى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء» اهـ. وأقره الزبيدي في شرح الإحياء حيث نقله.

وأما دعوى المجسمة أن تفسير استوى باستولى وقهر يقتضي سبق المغالبة فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، فلم توهم هذه الآية سبق المغالبة وحيث لا إيهام هنا فلا إيهام هناك.

وأما اعتراضهم على ذلك بقولهم «إن الله قاهر لكل شيء فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر»، فيرد عليهم بأن الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، فلم يقتض ذلك أن الله ليس رباً لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين». وقد نقل الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن أن الإمام أحمد أول قول الله «أو يأتي ربك» (الأنعام ١٥٨) قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ (النحل ٣٣).

فماذا ستقول الوهابية في الإمام أحمد الذي أول؟!

علماء السلف والخلف ينزهون الله عن النزول

بالحركة والانتقال:

١ - الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه^(٣):

سئل الإمام مالك - رحمه الله - عن نزول الرب عز وجل، فقال (ينزل أمره - تعالى - كل سحر، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو) اهـ.

٢ - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠٥/٨)، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص/١٣٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (٣٧/٦)، الإنصاف لابن السيد البطليوسي (ص/٨٢).

السنن في كتابه «الأسماء والصفات» عند ذكر هذا الحديث^(٤):

«أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقوله المعطلة لصفاته والمشبهة بها علواً كبيراً. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمه فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» انتهى كلام البيهقي.

٣ - وروى البيهقي بإسناده عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال^(٥): «سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ - يعني

(٤) السنن الكبرى، البيهقي - المجلد الثالث، ص ٣.

(٥) الأسماء والصفات، البيهقي - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - ص ٥٦٨.

فِي النُّزُولِ - فَقُلْتُ لَهُ النُّزُولُ بَلَا كَيْفَ .

٤ - قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ (ت ٤٥٨هـ) صاحبُ السُّنَنِ: يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اسْتَوَاءَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَيْسَ بِاسْتَوَاءٍ اعْتِدَالٍ عَنْ اعْوْجَاجٍ، وَلَا اسْتِقْرَارٍ فِي مَكَانٍ، وَلَا مَاسَةِ لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، لَكِنَّهُ مَسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ بَلَا كَيْفَ بَلَا أَيْنَ، بَاطِنٍ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَأَنْ إِيَّانَهُ لَيْسَ بِإِيَّانٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَأَنْ مَجِيئَهُ لَيْسَ بِحَرَكَةٍ، وَأَنْ نَزُولَهُ لَيْسَ بِنَقْلَةٍ، وَأَنْ نَفْسُهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَأَنْ وَجْهَهُ لَيْسَ بِصُورَةٍ، وَأَنْ يَدُهُ لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ، وَأَنْ عَيْنُهُ لَيْسَتْ بِحَدَقَةٍ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَوْصَافٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ فَقُلْنَا بِهَا، وَنَفَيْنَا عَنْهَا التَّكْيِيفَ فَقَدْ قَالَ^(٦): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وَقَالَ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (وَقَالَ) ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ اهـ.

٥ - الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ الْبَاقِلَانِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ (ت ٤٠٣هـ) قَالَ مَا نَصَهُ^(٧):

«وَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخُدُوثِ أَوْ عَلَى سَمَةِ النِّقْصِ فَالربُّ تَعَالَى يَتَّقِدُّسُ عَنْهُ، فَمَنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ تَعَالَى مُتَّقِدُّسٌ عَنِ الْإِخْتِصَاصِ بِالْجِهَاتِ، وَالْإِتِّصَافِ بِصِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ، وَكَذَلِكَ لَا يُوصَفُ بِالتَّحْوِيلِ وَالْإِنْتِقَالِ، وَلَا الْقِيَامِ وَلَا الْقُعُودِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(٦) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي - عالم الكتب، بيروت - ص ٧٢.

(٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - ص ٦٤.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك اهـ.

٦ - إمام الحرمين الجويني يقول في الإرشاد، أثناء كلامه عما روي بشأن النزول^(٨): وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فأحاديث لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً، لكننا نؤمى إلى تأويل ما دون منها في الصحاح، فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له» الحديث، ولا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشغل غيره فإن ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام والوجه حمل النزول وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين وذلك سائغ غير بعيد ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

معناه: إنها جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه تخصيصاً.

٧ - الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت

(٨) كتاب الإرشاد ص ١٥٠، ١٥١.

٦٧١هـ) قال في تفسيره ما نصه^(٩): «والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز».

٨ - رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة (ت ٧٢٧هـ) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» ما نصه^(١٠): «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: أجسام منتقلة، ومنتقل عنه ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قوهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

(٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي - سورة الفجر.

(١٠) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة - دار السلام ١٤١٠ - ص ١٦٤.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملاءه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين» انتهى كلام ابن جماعة.

٩ - الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» بعد ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير. وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن وجسم سافل وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعاً».

١٠ - الإمام البيضاوي قال^(١): «ما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد نزول رحمته، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق ببعته وصفته تعالى».

وكذلك بعض كلام نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١١ - الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي قال ما نصه^(١٢): «ثم إن الذي يتشبه بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبه بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ أن آدم وحواء التي لم تكن نبيه قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر، فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله.

١٢ - قال النووي في شرحه على صحيح مسلم^(١٣): «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع

(١٢) عارضة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، ابن العربي - دار الفكر، بيروت - المجلد الثاني، ص ٢٣٥.

(١٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي - المجلد السادس، ص ٣٦.

اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما مراجعة فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ «انتهى كلام النووي».

ويبطل ما ذهب إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة «يُنزل» بضم الياء وكسر الزاي فيكون المعنى نزول الملك بأمر الله الذي صرح به في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكًا بأن ينزل فينادي، فتبين أن المشبهة ليس لهم حجة في هذا الحديث.

١٣ - وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري^(١٤): «وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وحكى ابن فورك أن بعض

(١٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - المجلد الثالث - كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

المشايع ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزل ملكاً قال الحافظ وبقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد «أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول هل من داع فيستجاب له» الحديث، وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ينادي مناد هل من داع يستجاب له... الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسميّة والتّحيّز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته» انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

١٤ - الإمام العيني في شرح صحيح البخاري قال أثناء كلامه عن حديث النزول^(١٥): «وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من ينزل يعني من الإنزال وذكر أنه ضبط عمن سمع منه من الثقات الضابطين، وكذا قال القرطبي قد قيده بعض الناس بذلك، فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي ينزل الله ملكاً، قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهل حتى يأتي شطر الليل الأول، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له»، وصححه عبد الحق، وحمل صاحب المفهم على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيه: «يتنزل

(١٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩٩/٧).

ربنا»، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية هنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وإليها يُرد «ينزل» على أحد التأويلات، ومعنى ذلك أنَّ مقتضى عظمة الله وجلاله واستغناؤه عن خلقه أن لا يعبأ بحقير ذليل، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولطفه، لأنَّ يقول من يقرض غي عدوم ولا ظلوم، ويكون قوله «إلى السَّاء الدنيا» عبارة عن الحالة القريبة إلينا والدنيا، والله أعلم.

١٥ - وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث^(١٦) «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي» ثم قال «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعاً إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه».

١٦ - الحافظ السيوطي قال في أثناء كلامه في شرح حديث النزول في «تنوير الحوالك»^(١٧): «فالمراد إذن نزول أمره أو الملك بأمره، وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه ينزل بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً».

١٧ - الإمام الزرقاني في شرحه على موطأ الإمام مالك نقل ما نقله

(١٦) شرح صحيح البخاري، القسطلاني - المجلد؟، ص ٣٢٣.

(١٧) كتاب تنوير الحوالك (١/١٦٧).

ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه^(١٨): «وكذا حكى عن مالك أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أي أتباعه بأمره» انتهى كلام الزرقاني.

١٨ - الملا علي القاري الحنفي قال في مرقاة المفاتيح بعد أن نقل كلام النووي بشأن معنى حديث النزول وأقوال العلماء فيه وبكلامه، وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم من أئمتنا^(١٩): «يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا، هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي...»

إلى أن قال: بل قال جمع منهم ومن الخلف: أن معتقد الجهة كافر

(١٨) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني - دار الجيل، بيروت - (٢/٣٤٠).

(١٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/٢٩٩).

كما صرّح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني.

١٩ - الحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي قال في كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وفي كتاب «التيسير بشرح الجامع الصغير» ما نصه: «قيل المراد نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة»، ثم قال في «فيض القدير» ما نصه: «لا نزول حركة وانتقال لاستحالة عليه تقدس فيه نزول معنوي» اهـ.

وختامًا، إليك أخي المؤمن هذه الخلاصة المهمة: لقد اتفق أهل التفسير أنّ خيرَ ما يُفسَّرُ النَّصُّ الواردُ النَّصُّ الواردُ؛ فخير ما يفسَّرُ النَّصُّ القراءانيُّ السياقيُّ، وخير ما يُفسَّرُ الحديثُ الواردُ الحديثُ الواردُ، كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وَخَيْرُ مَا قَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ كَالدُّخِّ بِالدُّخَانِ لَابِنِ صَائِدٍ

ومن هذه القاعدة الذهبية النفيسة ننتقل لبيان الآتي: الأحاديث الثلاثة التي يتمسك المشبهة بظاهرها، ويمنعون تأويلها لإثبات الجهة والحركة لله تعالى للعلماء في شرحها وتأويلها مسلك واضح يتفق مع تلك القاعدة، بل هو تطبيق لها، والتزام بها؛ وهذه الأحاديث الثلاثة هي: حديث الجارية، وحديث «ارحموا من في الأرض»، وحديث النزول.

- ففي حديث الجارية: على افتراض ثبوت رواية «أين الله»،

و«قالت: في السَّاء» يرى العلماء تأويله كما يلي:

١ - قول: «أين الله» دلالتُه: سؤال عن تعظيم الجارية لله تعالى، فلفظة (أين) في اللغة تستعمل لذلك، كقول عمرو بن العاص: «وأين معاوية من علي». ودليل هذا التأويل الرواية الأخرى للحديث في موطأ مالك: «أتشهدين أن لا إله إلا الله...»، ومعلوم أن شهادة أن لا إله إلا الله دلالتها إثبات تعظيم الله تعالى، لا إثبات الخيز والجهة والمكان له.

٢ - وقول: «في السَّاء» دلالتُه: أن الله عظيم القدر جدًّا. وهذا معروف في لغة العرب. ودليله قول الجارية وإقرارها: «أشهد أن لا إله إلا الله...».

فرواية مالك تفسر رواية مسلم، على فرض ثبوتها. بذلك اللفظ.

- وفي حديث الرحمة: الذي يفسر رواية: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّاء» رواية: «يرحمكم أهل السَّاء» التي رواها الحافظ العراقي، وإسنادها وأهل السَّاء - بالإجماع - هم الملائكة، فالله لا يقال له: أهل السَّاء. لذلك أوَّل العلماء رواية «من في السَّاء» بالملائكة.

- وفي حديث النزول: الذي يفسر لفظ «ينزل ربُّنا» الوارد في رواية البخاري المشهورة، وروايات عدد من الأئمة، لفظ «يأمر ملكًا» فينزل الملك بأمر الله، وهو الوارد في رواية النَّسائي وهي «ثم يأمر منادياً ينادي» وهذا المأمور المنادي هو غير الله بلا شك وهو الملك، وهي

ثابتة صحيحة.

فمعنى (ينزل ربُّنا): ينزل (ملكُ ربِّنا)، وهذا مجاز معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والأصول، والتفسير: بالمجاز العقلي ودليله الرواية الأخرى.

وبعدُ، فنقول كما قال الحافظ عبد الغني النابلسي: (رجز)
هذا هو الحق المبين الواضح وبالذي فيه الإناء ناضح
والحمد لله رب العالمين.



بيان الدلالة اللغوية للفظ
(النزول) من أقوال العلماء
واللغويين والمفسرين، وأنه
لا ينحصر في معاني الحركة
والانتقال، بل يأتي بعدة معانٍ؛
حقيقة ومجازية.

لِسَانُ الْعَرَبِ

لِلإِمَامِ الْعَلَمَةِ أَبِي الْفَضْلِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمِ
ابْنِ مَنْظُورٍ الْأَفْرَيقِيِّ الْمِصْرِيِّ

المجلد الحادي عشر

دار صادر
بيروت

نزل	نزل
نصب المُنزَّلُ لأنه مصدر . وَأَنْزَلَهُ فِعْرُهُ واستنزهه بمعنى ، ونَزَلَهُ نَزْلاً ، والنزِيل أَيْضاً : التَّوْبِيخُ . والنَّزَالُ : النَّزُولُ فِي مُهْلَةٍ . وَفِي الْحَدِيثِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يُنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا ، النَّزُولُ وَالصُّمُودُ وَالْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْتَهِى عَنْ ذَلِكَ وَيَتَقَدَّسُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ 'نُزُولُ الرَّجْسِ وَالْأَلْطَافِ الْإِلهِيَةِ وَقَرُّهَا مِنَ الْعِبَادِ ، وَتَخْصِيصُهَا بِاللَّيْلِ وَبِالْثَّلَاثِ الْأَخِيرِ مِنْهُ لِأَنَّهُ وَقْتُ التَّهَيُّدِ وَظِلَّةِ النَّاسِ عَشَى يَتَعَرَّضُ لِنُفْعَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ التَّيْبَةُ خَالِصَةً وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاقْبَرَةً ، وَذَلِكَ مَطْلُوبُ النُّزُولِ وَالْإِجَابَةِ . وَفِي حَدِيثِ الْجِهَادِ : لَا تُشْرِكْهُمْ عَلَى حُكْمِهِمْ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ أَيَّ إِذَا طَلَبَ الْعَدُوُّ مَتَكَ الْأَمَانَ وَالْقِيَامَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُعْطِيهِمْ ، وَأَعْطِيهِمْ عَلَى حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ رُبَّمَا تَخْطِئُ فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ لَا تَقِي بِهِ فَنُاقِمْ . يُقَالُ : نُزِلْتُ عَنْ الْأَمْرِ إِذَا تَرَكْتَهُ كَمَا أَنَّكَ كُنْتَ مُسْتَعْلَباً عَلَيْهِ مُسْتَوْلياً . وَمَكَانُ نَزْلٍ : يُنْزَلُ فِيهِ كَثِيرٌ ، عَنْ الْعِيَانِي . وَنَزْلٌ مِنْ عُلَمَاءٍ إِلَى سُلَاطِنٍ : انْخِدَاعُ . وَالنَّزَالُ فِي الْحَرْبِ : أَنْ يَنْتَازِلَ الْقَرِيقَانِ ، وَفِي الْمَحْكَمِ : أَنْ يَنْزِلَ الْقَرِيقَانِ عَنْ أَيْسِلِهِمَا إِلَى حَتَبَيْهِمَا فَيَتَضَادِرَا ، وَقَدْ تَنَازَلَا . وَنَزَالِ نَزَالٌ أَيُّ انْزَلِ ، وَكَذَا الْاِئْتَانُ وَالْجُلُوعُ وَالْمُؤْتُ بِالْفِظِّ وَاحِدٌ وَاجْتِنَاعُ الشَّخْخِ إِلَيْهِ قَتْلُهُ قَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُ شَيْئاً يُمُوقَانُ أَنْشَى أَنَا الْقَارِسُ الْحَامِي ، إِذَا قِيلَ : نَزَالٌ ١ قوله : لَقَدْ عَلِمْتُ شَيْئاً ، مَكْنِيّاً فِي الْأَمَلِ بِضَرْبِ التَّكْثِيرِ ، وَأَنَّهُ يَفُوتُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ عَلَى مَوْقِعٍ تَشَاقُّ مِنْ آيَاتٍ يَجِبُ بِهَا فِعْرُهُ بِالْفِظِّ : وَقَدْ عَلِمْتُ شَيْئاً يَجُورَانُ أَنَّهُ هُوَ الْقَارِسُ الْحَامِي إِذَا قِيلَ نَزَالٌ	الْجَوْهَرِيُّ : وَنَزَالٌ مِثْلُ قِطَاعٍ . بِمَعْنَى انْزِلْ ، وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنِ الْمُنَازَلَةِ ، وَلِهَذَا أَنَّهُ الشَّاعِرُ يَقُولُ : وَلَتَنْتَعِمَ حَشَرُهُ الْفُتُوحَ أَنْتَ ، إِذَا 'مُعِيَتْ' نَزَالٌ ، وَلِجَّ فِي الْخُفْرِ قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : وَمِثْلُهُ لُزِيدُ الْحَيْلِ : وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَامَةً أَنْ سَيِّئِي كَرْبِي ، كَلِمَا 'مُعِيَتْ' نَزَالِ وَقَالَ جَوْهَرِيَّةُ الْقَلْعِي : مَعْرُوضاً نَزَالِ ، ظَمَّ يَنْزِلُوا ، وَكَانَتْ نَزَالِ عَلَيْهِمْ أَلْطَمُ قَالَ : وَقَوْلُ الْجَوْهَرِيِّ نَزَالٌ مَعْدُولٌ مِنَ الْمُنَازَلَةِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَزَالٌ بِمَعْنَى الْمُنَازَلَةِ لَا بِمَعْنَى النَّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ ، قَالَ : وَيَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ أَيْضاً : وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَيَّ ، يَوْمَ طَرَادِهَا ، بِسَلِيمٍ أَوْظِيفٍ الْقَوَائِمِ حَيْتُكَ قَدْ عَرَفُوا : نَزَالٌ إِفْكُتْ أُولُ ، تَقُولُ ، وَعَلَامٌ أَوْكَيْتُ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ ؟ وَصِفَ فَرْسُهُ بِجِسْنِ الطَّرَادِ فَقَالَ : وَعَلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ الْأَيْطَالَ عَلَيْهِ ؟ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ : عَلِيمٌ أَذْخَرَ الدَّعْمَاءَ عِنْدَ الْإِفَارَةِ ، إِذَا أَنَا لَمْ أَنْزِلْ إِذَا الْحَيْلُ جَالَتْ ؟ فَهَذَا بِمَعْنَى الْمُنَازَلَةِ فِي الْحَرْبِ وَالطَّرَادِ لَا غَيْرَ ، قَالَ : وَبِذَلِكَ عَلَى أَنَّ نَزَالٌ فِي قَوْلِهِ : قَدْ عَرَفُوا نَزَالٌ بِمَعْنَى الْمُنَازَلَةِ دُونَ النَّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ قَوْلُهُ : وَعَلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ ؟ أَيُّ وَلَيْمَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَقَاتِلْ عَلَيْهِ أَيُّ فِي حَيْثُ عَدَمُ قِتَالِي عَلَيْهِ ، وَإِذَا جَعَلْتُ نَزَالٌ بِمَعْنَى النَّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ

مَشْرِكَ كَلَامِ الْجَنَّةِ بِإِنْدَاءِ

لِلْأَمَامِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ بَنِي فُزُوكَ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠١ هـ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ
لِمُحَمَّدٍ رَجُلِي

عالم الكتب

فمن ذلك : النزول بمعنى الانتقال وذلك في قوله سبحانه .

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾^(١) على معنى النقلة والتحويل .

ومن ذلك النزول بمعنى الإعلام ، كقوله عز وجل :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) .

أي أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ .

والنزول أيضاً بمعنى القول والعبادة وذلك في قوله عز وجل .

﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٣) .

والنزول ايضاً بمعنى الإقبال على الشيء وذلك هو المستعمل في قولهم والجاري

في عرفهم ، وهو أنهم يقولون : إن فلانا أخذ بمكارم الأخلاق ثم نزل منها إلى سفافها ، أي أقبل منها إلى رديثها .

ومثله في نقصان الدرجة والمراقبة لأنهم يقولون :

نزلت منزلة فلان عن فلان عما كانت عليه إلى ما دونها إذا انحط قدره عنده .

ومن ذلك ايضاً النزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قول الناس قد كنا في

عدل وخير ، حتى نزل بنا بنو فلان إلى حكمهم ، وكل ذلك في معنى النزول متعارف بين أهل اللغة غير مرفوع عندهم اشتراك معناه .

فأما قوله :

(١) سورة الفرقان آية ٤٨ .

(٢) الآية : ١٩٣ ، ١٩٤ من سورة الشعراء .

(٣) الآية : ٩٣ من سورة الأنعام .

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(١) .

فمن أهل التأويل من قال : معناه وخلقنا الحديد .

ومنهم من قال : إن الحديد أنزلناه على معنى النقل من علو إلى أسفل .

فأما قوله :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾^(٢) فإن أنزال القرآن ليس هو على معنى النقل والتحويل لإستحالة الانتقال على الكلام ، وإنما هو بمعنى الإعلام والإسماع والإفهام .

وقوله :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

يكشف أيضاً على أنه ليس كل نزول وإنزال ، نقل وتحويل ، بل ذلك لفظ مشترك المعنى ، قد يكون نقلاً وتحويلاً ، ويكون على غير هذا الوجه أيضاً ، على المتعارف والمعهود بين أهل اللغة ، وإذا كان اللفظ مشترك المعنى ، وجب الترتيب وإضافة ما يليق في المذكور والمضاف إليه على حسب ما يليق به ، ألا ترى أنه إذا أضيف إلى السكينة لم يكن حركة ولا نقلة وإذا أضيف إلى الكلام لم يكن أيضاً تفرغ مكان وشغل مكان ، وإذا أريد به الحكم وتغير المرتبة فكذلك ، وإذا كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محمولاً على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته وتغير يلحقه أو نقص تمثيلاً أو تحديداً ، وهو أن

(١) الآية : ٢٥ من سورة الحديد .

(٢) الآية : ٣ من سورة الدخان .

(٣) الآية : ٤ من سورة الفتح .

يكون على احد وجوه من المعاني .

أما ان يراد به إقباله على اهل الأرض بالرحمة والاستعطاف بالذكر والتنبية الذي يلقي في قلوب أهل الخير ، منهم من اسعده بتوفيقه لطاعته حتى يزعمهم الى الجدل والانكماش في التوبة والإنابة والإقبال على الطاعة ، ووجدنا الله عز وجل قد خص بالمدح المستغفرين بالأسحار وقال في وصفهم ايضاً :

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّائِلِ مَا يَهْجُؤْنَ وَيَأْسَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(١) .

وقال تعالى :

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾^(٢) .

فيحتمل أن يكون ذلك هو المراد به ، وهو الأخبار عما يظهر من الطافه ومعونته وتأنيده ولأهل ولايته في مثل هذا الوقت بالزواج التي يقيمها في نفوسهم والمواظع التي تنبههم بقوة الترغيب^(٣) والترهيب .

ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهره بأمره فيضاف اليه ، كما يقال ضرب الأمير اللص ، ونادى الأمير في البلد اليوم ، وإنما أمر بذلك فيضاف اليه على معنى انه عن أمره ظهر وبأمره حصل ، وإذا كان ذلك محتملاً في اللغة لم ينكر ان يكون الله عز وجل ملائكة بأمرهم بالنزول الى الساء الدنيا بهذا النداء والدعاء ، فيضاف ذلك الى الله عز وجل ، على الوجه الذي يقال ضرب الأمير اللص ، ونادى في البلاد .

وقد روى لنا بعض اهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ ، بما يؤيد هذا الباب ،

(١) الآية : ١٧ ، ١٨ من سورة الذاريات .

(٢) الآية : ١٧ من سورة آل عمران .

(٣) الترغيب في عمل الخير وثواب الجنة ، والترهيب من عمل الشر لأن الشر جزاءه جهنم .

وهو بضم الياء « من ينزل » وذكر أنه قد ضبطه عمن سمعه عنه من الثقات الضابطين ، وإذا كان ذلك محفوظاً مضبوطاً كما قال فوجه ظاهر ، ولما ذكرناه مما يحتمله من التأويل مؤيد شاهد .

ويحتمل أيضاً أن يكون على معنى أنهم يقولون .

ما زلنا في خير حتى نزل بنا بنو فلان على معنى نزول حكمهم وأمرهم ، فيكون تقدير التأويل ما قلنا فيه من الأخبار عما يفعله الله تعالى في كل ليلة من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير في الخير ، وزيادة في الدواعي إلى الطاعة ، والإستعفاف لأهل العطف ، مع أنه إذا لم يحل ما أطلق عليه من هذا الوصف من أن يكون مما يلزم الذات لأجل فعل ، أو يكون مما يجب لأجل إفعال ، وبطل أن يكون ذلك مما يلزم الذات ، وجب أن يكون ذلك مما يوصف به من أجل فعل يفعله .

وقد روي لنا عن الأوزاعي رحمه الله ، أنه سئل عن هذا الخبر فقال :
يفعل ما يشاء .

وهذا إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه عز ذكره .

وروي عن مالك بن انس أنه قال في هذا الخبر .

ينزل أمره في كل شيء ، وأما هو جل ذكره فهو دائم لا يزول ، ولسنا ننكر تسمية الله تعالى بأسماء أفعاله إذا ورد بها التوقيف بها كسائر ما يسمى لأجل الفعل مثل قوله :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ (١) .

وقوله :

(١) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

شَرْحُ صَحِيحِ الْجَارِزِيِّ

لَاِبْنِ بَطَّالٍ

أُمِّي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ حَنْفَلَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَكِّيِّ

صَبَّحَ نَصْرُهُ وَعَلَمُهُ عَلَيْهِ

أَبُو تَمِيمٍ يَاسِرُ بْنُ إِبرَاهِيمَ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ

الرِّيَاضُ

إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فاستجب / له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له . [١/١ - ٢/١]

قال ابن فورك ^(١) : [حجة ^(٢)] أهل البدع هذا الحديث وشبهه ، وقالوا : لا يمكن حمل شيء منه على تأويل صحيح من غير أن يكون فيه تشبيه أو تحديد أو وصف للرب - تعالى - بما لا يليق [به] ^(٣) وقد ورد التنزيل بمعنى هذا الحديث وهو قوله : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ^(٤) و ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ ^(٥) و ﴿ أتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ ^(٦) .

ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنزول إذا أضيف [جميع] ^(٣) ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته عز وجل .

فمن ذلك أنا وجدنا لفظة النزول في اللغة مستعملة على معان مختلفة ، فمنها النزول بمعنى الانتقال والتحويل كقوله : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ ^(٧) ومنها النزول بمعنى الإعلام كقوله : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ^(٨) أي أعلم به الروح الأمين محمداً - عليه السلام . ومنها النزول بمعنى القول في قوله تعالى : ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ ^(٩) أي سأقول مثل ما قال ، ومنها النزول بمعنى الإقبال على الشيء ، وذلك هو المستعمل في كلامهم الجاري في عرفهم ، وهو

^(١) ابن فورك متجه ، هذا حذف ابن التلجي في كتابه الذي صنّفه في تحريف أحاديث الصفات والطلعن فيها ، فلا يلتفت إلى قوله الآتي ، والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وغيره من أحاديث الصفات على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى ، وإمرار ذلك من غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وهذا هو الطريق الأسلم والأعلم والأحكم ، فتنبه .

^(٢) من « هـ » وفي « الأصل » : عند .
^(٣) من « هـ » .
^(٤) الفجر : ٢٢ .
^(٥) البقرة : ٢١٠ .
^(٦) النحل : ٢٦ .
^(٧) الفرقان : ٤٨ .
^(٨) الشعراء : ١٩٣ .
^(٩) الأنعام : ٩٣ .

أنهم يقولون : نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دنيها ، أي أقبل إلى دنيها ، ونزل قدر فلان عند فلان [أي] ^(١) انخفض .

ومنها النزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قولهم : كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان ، أي حكمهم . وكل ذلك متعارف عند أهل اللغة ، وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة المعنى فينبغي حمل ما وصف به الرب - تعالى - من النزول على ما يليق به [من بعض هذه المعاني] ^(٢) .

إما أن يراد به إقباله على أهل الأرض بالرحمة والتنبية الذي يلقي في قلوب أهل الخير منهم ، والزواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطاعة ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلا يظهر بأمره ، فيضاف إليه ، كما يقال : ضرب الأمير اللص ، ونادى الأمير في البلد ، وإنما أمر بذلك ، فيضاف إليه الفعل على معنى أنه عن أمره ظهر ، وإذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنزول إلى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء ، فيضاف إلى الله ، وقد روي هذا التأويل في بعض طرق هذا الحديث ، روى النسائي قال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثنا أبو مسلم ، عن الأغر قال : سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري يقولان : قال رسول الله : « إن الله يمهّل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يتنادي [يقول] ^(٣) : هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من سائل يعطى » .

وقد سئل الأوزاعي عن معنى هذا الحديث [فقال] ^(٢) : يفعل الله ما يشاء . وهذه إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه تعالى .

(١) من « هـ » وفي « الأصل » : إذا . (٢) من « هـ » .

وقد روى حبيب عن مالك أنه قال في هذا الحديث : ينزل أمره ورحمته . وقد رواه غير حبيب عنه ، روى محمد بن علي البجلي بالقيروان قال : حدثنا جامع بن سودة قال : حدثنا مطرف ، عن مالك بن أنس أنه سئل عن هذا الحديث فقال : ذلك تنزل أمره .

وقد سئل بعض العلماء عن حديث النزول فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أفل النجم : ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ ﴾ ^(١) فطلب ربا لا يجوز عليه الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النزول ، وقد مدحه الله بذلك وأثنى عليه في كتابه فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمَوْقِنِينَ ﴾ ^(٢) فوصفه (لانه) ^(٣) - بقوله هذا - موقن .

وفي حديث أبي هريرة أن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، وقال تعالى : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ^(٤) وروى محارب بن دثار ، عن عمه : « أنه كان يأتي المسجد في السحر فيمر بدار ابن مسعود فيسمعه : اللهم إنك أمرتني فأطعت ، ودعوتني فأجبت ، وهذا السحر فاغفر لي . فسئل ابن مسعود عن ذلك فقال : إن يعقوب آخر بنه إلى السحر بقوله : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ^(٥) . »

وروى الجريدي « أن داود - عليه السلام - سأل جبريل : أي الليل أسمع؟ فقال : لا أدري ، غير أن العرش يهتز في السحر » [وقوله : أسمع] ^(٦) يريد أنها أوقع للسمع ، والمعنى أنها أولى بالدعاء وأرجى للاستجابة ، وهذا كقول ضماد حين عَرَضَ عليه رسول الله الإسلام فقال : سمعت كلاماً [لم أسمع] ^(٦) قط أسمع منه يريد أبلغ منه ولا أنجع في القلب . عن الخطابي .

(١) الأنعام : ٧٦ . (٢) الأنعام : ٧٥ .

(٣) هكذا في « الأصل » و « هـ » ، والأقرب أن يكون الصواب : بأنه .

(٤) الذاريات : ١٨ . (٥) يوسف : ٩٨ . (٦) من « هـ » .

إيضاح الدليل

في
قطع حج أهل التعطيل

مكتبة

الشيخ الإمام العلامة الفاضل العابد الفدوة الصالحة قاضي المسامير

محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة

السهر بن عبد الرحمن بن جماعة

رحمته الله تعالى

٦٣٩ - ١٢٤٧ هـ

٧٧٢

حققه وعلق عليه

وهي سليمان خاوي الشافعي

دار النشر

الطبعة والنشر والتوزيع والترجمة

الحديث الرابع :

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر »^(١) . الحديث . ورواه أبو سعيد : « إن الله يهبط حتى إذا كان ثلث

(١) قوله : « فيقول من يدعوني فأستجيب له من يناديني فأطعنه من يستغفري فأغفر له » . رواه السنة إلا النسائي . ولفظ : « إن الله يهبط » . رواه مسلم في كتاب المسافرين ، والبخاري في الدعوات (١٤) وأحمد (٢ / ٢٥٨) ، (٢٢٢) . قال الحافظ أبو بكر بن فورك : واعلم أنه لا فرق بين الإتيان والهبوط والنزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي تتحرك وتنقل وتحاذي مكاناً ، أن جميع ذلك يعقل من طاهرها المعنى الذي هو الحركة والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل مكان ، وإذا أضيف إلى مالا يليق به الانتقال من مكان إلى مكان لاستحالة وصفه بأنه جوهراً أو جسم أو محدود أو متناهي أو متكرر أو ممتد ، ولم يصح ذلك في وصفه كان معنى ما يضاف إليه من الإتيان والهبوط ، على حسب ما يليق بنمته وصفته إذا ورد به الكتاب ، وكذلك إذا أضيف النزول إليه وورد به الخبر الصحيح الموثق بروايته ونقله وصحته في باب أنه يعمل على نحو ما حل عليه معنى الهبوط والإتيان إذا ذكرا في أوصافه في الكتاب وإذا كان ذلك كذلك تأملت معنى ما ورد في هذا الخبر من لفظ (النزول) وترتلاء على الوجه الذي يليق بوصفه ، وعلى المعنى الذي لا يتكرر استعمال مثله في اللسان في مثل مناه ، ولا أن يرد الخبر مثله . فن ذلك أنا وجدنا لفظة (النزول) في اللغة مستعملة على معان مختلفة ، ولم تكن هذه اللفظة مما يحتسب أمراً واحداً حتى لا يمكن المدول عنه إلى غيره ، بل وجدناه مشترك المعنى واحداً للتأويل والتفريع والترتيب : فن ذلك (النزول) بمعنى الانتقال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُطَهَّرًا ﴾ على معنى النقلة والتحويل ، ومن ذلك (النزول) بمعنى الإعلام ، كقوله عز وجل : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ . و (النزول) أيضاً بمعنى القول والعبارة ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿ سَأُنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ مَاءً بَارِكًا ، يَنْزِلُ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينَ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ . وذلك هو السمع في قوله ، والجارى في عرفهم ، وهو أنهم يقولون : إن فلاناً أخذ بكلام الأخلاق ثم نزل منها إلى سفاسفها ، أي أقبل منها إلى رديتها (ومثله) في نقصان الدرجة والمرتبة لأنهم يقولون : نزلت منزلة فلان عند فلان عما كانت عليه إلى ما دونها ، إذا انحط قدره عنده . (من ذلك النزول) بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قول الناس : قد كسا في عدل وغير حتى نزل بنا بنو فلان إلى حكمهم . وكل ذلك في معنى (النزول) متعارف بين أهل اللغة غير مدفوع عندهم اشتراك معناه . ثم قال بعد كلام : وإذا كان اللفظ مشترك المعنى وجب الترتيب وإضافة ما يليق في الذكور للمضاف إليه على حسب ما يليق به ، ألا ترى إنه إذا أضيف إلى السكينة — في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ — لم يكن حركة ولا قلة ، وإذا أضيف إلى الكلام لم يكن أيضاً تفرغ مكان وشغل مكان ، وإذا أريد به الحكم وتغير المرتبة فكذلك . وإذا كان ذلك كذلك كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محولاً على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي له مالا يليق بنمته من إيجاب حدث يحدث في ذاته وتغير يلحقه أو نقص تقيلاً أو تحديثاً ، وهو أن يكون على أحد وجوه من المعاني : إما أن يراد إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف والتذكير والتنبيه الذي يلحق في قلوب أهل الخير منهم .. إلخ . مشكل الحديث وبيانه ص ٦٦ ، ٢٤٧ . وقال الإمام العيني في شرح البخاري : إذا أضيف الهبوط والإتيان والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل غيره يعمل على ذلك ، وإذا أضيف إلى مالا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنمته وصفته تعالى ، (فالنزول) لغة يستعمل لسان خمسة مختلفة : بمعنى الانتقال كما في قوله تعالى :

الليل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول هل من تائب يتوب » .

اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه :
لوجوه :

الأول : النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة : أجسام ، منتقل ،
ومننقل عنه ومننقل إليه ، وذلك على الله تعالى محال .

الثاني : لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة
تستوعب الليل كله ، وتنقلات كثيرة : لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع
الحطاط شيئا فشيئا ، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً ، من قوم إلى قوم ،
وعودة إلى العرش في كل لحظة على قولهم ، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ، ولا يقول ذلك
ذولب وتحصيل ^(١) .

= ﴿ وأفرنا من السماء ماء مهبوطاً ﴾ ويعنى الإعلام نحو قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ أي أعلم به الروح
الأمين محمداً ﷺ . ويعنى القول نحو : ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ أي سأقول مثل ما قال . ويعنى الإقبال على
الشيء ، تقول العرب : فلان يكرام الأخلاق ثم نزل إلى سفسافها . ويعنى نزول الحكم . وكل ذلك متعارف عند
أهل اللغة . وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب من النزول على ما يليق به من هذه المعاني
وهو إقباله على أهل الأرض بالرحمة . اهـ . (٣ / ٦٢٢) .

(١) قال أبو سليمان الخطابي في حديث النزول : وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث من يرجع إلى معرفته بالحديث
والرجال ، فعاد عن هذه الطريقة — طريقة السلف — حين روى حديث النزول : أقبل على نفسه فقال : إن
قال قائل : كيف ينزل ربنا إلى السماء ؟ قيل له : ينزل كيف يشاء . فإن قال : هل يتحرك إذا نزل ؟ فقال :
إن شاء يتحرك ، وإن شاء لم يتحرك . وهذا خطأ فاحش عظيم ، والله تعالى لا يوصف بالحركة ، لأن الحركة
والسكون يتعاقبان في محل واحد ، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون ، وكلاهما من
أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين ، والله تبارك وتعالى متعال عنها ﴿ ليس كشيء شيء ﴾ ، فلو جرى هذا الشيخ
على طريقة السلف الصالح ولم يدخل فيها لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش . قال :
وإذا ذكرت هذا لكي يتوق الكلام فيما كان من هذا النوع فإنه لا يشر غيراً ولا يفيد رشداً . ونسأل الله العصمة
من الضلال ، والقول بما لا يجوز من الغائد والغال . الأخطاء والصفات : ٤٥٤ . وانظر مشكل الحديث لابن فورك
ص ١٨٩ ، ١٩١ . وحكي ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بنص أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً ، ويقويه
حديث النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله يهل حتى يعني شطر الليل الأول
ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له ؟ » الحديث . وصححه عبد الحق . بل هذا الحديث يعين أن
الإسناد عيازي في صيغ الثلاثي « ينزل » من روايات الحديث فيخرج الحديث من أن يكون من الأحاديث
المتشابهة ، على أن شطر الليل وتلك مما يختلف باختلاف المطالع والمغرب ، كما يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه .
فتبين أن ذلك فتح باب القبول لأهل كل أمة . وأما من جعل ذلك ثقلة فقد جزم وخالف البرهان العقلي

١٦٥

الثالث : أن القائل بأنه فوق العرش ، وأنه ملأه كيف تسعه ساء الدنيا ، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقه في فلاة^(١) ، فيلزم عليه أحد أمرين ؛ إما اتساع ساء الدنيا كل ساعة حتى تسعه ، أو تضائل الذات المقدسة عن ذلك حتى تسعه ، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين .

الرابع : إن كان المراد بالنزول استماع الخلق إليه ، فذلك لم يحصل باتفاق ، وإن كان المراد به النداء من غير إسماع فلا فائدة فيه ، ويتمتع الله عن ذلك .

إذا ثبت ذلك ، فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بذلك النزول ، مع قطعهم بأن ما لا يليق بجلاله تعالى غير مراد (و) تنزيهه عن الحركة والانتقال .

قال الأوزاعي : وقد سئل عن ذلك فقال : يفعل الله ما يشاء^(٢) .

كما جرى لموسى عليه السلام مع ملك الموت لما فقأ عينه^(٣) .

= والدليل الشرعي ، وضروية الحس . راجع الفصل لآين حزم ، وشرح البخاري للمعني عن الأسماء والصفات تعليقاً ص ٤٥٠ .

(١) قال رسول الله ﷺ لأي ذر : « ياأبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقه ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقه » . رواه البيهقي ، وقال : تفرد به يحيى بن سعيد السعدي . قال الملق : هو منكر الحديث لا يمتنع به إذا انفرد ، وقد انفرد به عن ابن جريج ، وكذلك شأن الرواية الثانية . فيه . الأسماء والصفات ٤٠٥ .

(٢) بعد هذه العبارة نقص بقدر ورقة كاملة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) أرى هذا هو الحديث الخامس ، رواه مسلم في الفضائل (١٥٨) ، ولفظه : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك . قال : فلفظ موسى عليه السلام عين ملك الموت فقأها . قال : فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبيد لا يريد الموت وقد فقأ عيني . قال : فرؤ الله عينه وقال : ارجع إلى عبيدي فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شجرة فإنيك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن من قريب ، رب آتني من الأرض المقدسة برمية حجر » . قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأزيتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكتيب الآخر » . مسلم في فضائل موسى عليه السلام . وأحد (٢ / ٣١٥) . قال ابن قتيبة بعد ذكر هذا الحديث . ونحن نقول إن هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث وأحسب له أصلاً في الأخبار القديمة ، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظر ، ولما مثل ملك الموت لموسى عليه السلام . وهذا ملك الله وهذا نبي الله ، وجاذبه لطمه موسى لطمه أذهبت العين التي هي تخيل وتثيل ، وليست حقيقة ، وعاد ملك الموت عليه السلام إلى حقيقته خلقتة الروحانية كما كان لم ينتص منه شيء . اهـ تأويل مختلف الحديث ص ٢٥٨ ، وانظر مشكل الحديث وبيانه لآين فورك ص ١٧٧ . وانظر التووي على مسلم في فضائل موسى عليه السلام والأسماء والصفات ص ٤١٢ .

عَمَلَةُ الْقَلْبِ شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تأليف
الأمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

ضبطه ومحققه
عبد الله محمود محمد عمر

طبعة جديدة مرقمة الكتب والأبواب والأجزاء
حسب ترتيب المعتمد في الألفاظ الحديث النبوي الشريف

الجزء السابع

بمراجعة علي كليب النجدي:
المترجم الأستاذ الدكتور أحمد عيسى بن محمد القادري - تقصير الصلاة التوجيه
فضيلة الصلاة في مسجد مكة والمدينة - العمل في الصلاة - المسحور
من الحديث (٩٩) به الجزء الحديث (١٢٣٦)

مشتوراة
محمود بن يحيى
لشركت دار النشر والكتاب
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رواية من لم يعين الوقت فلا تمارض بينها وبين من عين، وأما من عين الوقت واختلفت ظواهر رواياتهم فقد صار بعض العلماء إلى الترجيح، كالترمذي على ما ذكرنا، إلا أنه عبر بالأصح، فلا يقتضي تضعيف غير تلك الرواية لما تقتضيه صيغة: أفعل، من الاشتراك. وأما القاضي عياض فغير في الترجيح بالصحيح، فاقتضى ضعف الرواية الأخرى، ورده النووي بأن مسلماً رواها في (صحيحه) بإسناد لا يقطع فيه عن صحابين، فكيف يضعفها؟ وإذا أمكن الجمع ولو على وجه فلا يصار إلى التضعيف. وقال النووي: ويحتمل أن يكون النبي، ﷺ، أعلم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به، ثم أعلم بالآخر في وقت آخر فأعلم به، وسمع أبو هريرة، رضي الله تعالى عنه، الخبرين فنقلهما جميعاً، وسمع أبو سعيد الخدري، رضي الله تعالى عنه، خبر الثالث الأول فقط، فأخبر به مع أبي هريرة كما رواه مسلم في الرواية الأخيرة، وهذا ظاهر.

ذكر تعدد موضعه ومن أخرجه غيره: أخرجه البخاري أيضاً في التوحيد عن إسماعيل ابن عبد الله، وفي الدعوات عن عبد العزيز بن عبد الله. وأخرجه مسلم في الصلاة عن يحيى ابن يحيى. وأخرجه أبو داود فيه وفي السنة عن القعنبي. وأخرجه الترمذي فيه عن قتيبة. وأخرجه النسائي في الدعوات عن محمد بن سلمة عن ابن القاسم عن مالك به، في اليوم والليلة عن أبي داود الحارثي. وأخرجه ابن ماجه في الصلاة عن أبي مروان محمد بن عثمان العثماني.

ذكر من أخرجه من غير أبي هريرة: قال الترمذي، بعد أن أخرج هذا الحديث عن أبي هريرة: وفي الباب عن علي بن أبي طالب، وأبي سعيد ورقاعة الجهني وجبير بن مطعم وابن مسعود وأبي الدرداء وعثمان بن أبي العاص. قلت: وفي الباب، عن جابر بن عبد الله وعبادة بن الصامت وعقبة بن عامر وعمرو بن عبسة وأبي الخطاب وأبي بكر الصديق وأنس ابن مالك وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبي ثعلبة الخشني وعائشة وابن عباس ونواس ابن سمعان وأمه سلمة وجد عبد الحميد بن سلمة.

أما حديث علي، رضي الله تعالى عنه، فأخرجه الدارقطني في كتاب (السنة) من طريق محمد بن إسحاق عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ولأخبرت العشاء الآخرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر، فيقول القائل: ألا سائل يعطى سؤاله؟ ألا داع يجاب؟» ورواه أحمد في (مسنده)، ورواه الدارقطني أيضاً من طريق أهل البيت من رواية الحسين بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي، رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينزل في كل ليلة جمعة من أول الليل إلى آخره إلى سماء الدنيا، وفي سائر الليالي من الثلث الأخير من الليل فيأمر ملكاً ينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأؤوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر». وفي

إِسْنَادُهُ مِنْ يَجْهَلُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ فَأُخْرِجَهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ رِوَايَةِ الْأَغَرِ أَبِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّ اللَّهَ يَجْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأُولَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا... الْحَدِيثُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ رِفَاعَةَ الْجَهَنِيِّ، فَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ رِوَايَةِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَوْ ثُلُثُهُ، قَالَ: لَا يَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي» الْحَدِيثُ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَنْهُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ فَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي (مُسْنَدِهِ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَزَادَ: «حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فَأُخْرِجَهُ أَحْمَدُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَسِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا كَانَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْطُرُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يَعْطَى سَوْأَلُهُ؟ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَسْطُلَ الْفَجْرُ».

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي (مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ) وَ(الْوَسْطِ) مِنْ رِوَايَةِ زِيَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَيَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنُهُ الَّذِي يَسْكُنُ لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّادِقُونَ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ وَلَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا سَائِلٌ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ أَلَا دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرَأَ الْفَجْرَ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٧٨]. فَيُشْهِدُهُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ، قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَكَرِّرٌ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عِثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ فَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنِ عِثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُنَادِي مَنَادٌ كُلَّ لَيْلَةٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيَغْفِرُ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي (الْكَبِيرِ) بِالْفُظِّ: «تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مَنَادٌ...» فَذَكَرَهُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ فَرَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي (كِتَابِ السَّنَةِ) وَأَبُو الشَّيْخِ ابْنُ حِبَّانٍ أَيْضًا فِي (كِتَابِ السَّنَةِ) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ أَلَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُقْتِرٌ عَلَيْهِ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مَظْلُومٌ

يَسْتَمِعُ بِي فَأَنْصُرُهُ؟ أَلَا عَانَ يَدْعُونِي فَأُفَكُّ عَنْهُ؟ فَيَكُونُ ذَلِكَ مَكَانَهُ حَتَّى يَضِيءَ الْفَجْرُ، ثُمَّ يَعْلُو رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الْعَلِيِّ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، فِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ، يَرْوِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمٍ، بِضَمِّ اللَّامِ، وَالْجَعْفَرِيُّ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ ضَعُفَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ، وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ: مُتْرُوكٌ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ فَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي (المعجم الكبير) و(الأوسط) مِنْ رِوَايَةِ بَحْيِ بْنِ إِسْحَاقَ «عَنْ عِبَادَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَنْزِلُ رَبَّنَا، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي؟...» الْحَدِيثُ نَحْوُ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَفِي آخِرِهِ، حَتَّى يَصْبِحَ الصَّبِيحُ ثُمَّ يَعْلُو، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَفِي إِسْنَادِهِ فَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيُّ، وَهُوَ وَإِنْ أُخْرِجَ لَهُ الشَّيْخَانُ فَقَدْ قَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ لَيْسَ بِثِقَةٍ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ فَرَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ رِوَايَةِ بَحْيِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْهُ، قَالَ: «أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، أَوْ قَالَ نِصْفُ اللَّيْلِ، يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي»، قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: وَفِيهِ نَظَرٌ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ فَرَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ أَيْضًا فِي (كتاب السنة) مِنْ رِوَايَةِ جَرِيرِ بْنِ عُسْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ، قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ..» الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: «إِنَّ الرَّبَّ، عَزَّ وَجَلَّ، يَتَدَلَّى مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ»، زَادَ فِي رِوَايَةِ الْآخَرِ: «فَيَغْفِرُ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّرْكِ»، زَادَ فِي رِوَايَةِ: «وَالْبَغْيِ وَالصَّلَاةِ مَشْهُودَةٌ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ».

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الْخَطَّابِ فَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي (كتاب السنة) بِإِسْنَادِهِ «عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْخَطَّابِ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْوُتْرِ، فَقَالَ: أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُؤْتَرَ نِصْفُ اللَّيْلِ، إِنْ اللَّهُ يَهَيِّطُ مِنَ السَّمَاءِ الْعَلِيِّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مَذْنِبٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ارْتَفَعَ». قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَبُو الْخَطَّابِ، لَهُ صَحِيحَةٌ وَلَا يَعْرِفُ اسْمَهُ.

ذَكَرَ مَعْنَاهُ: قَوْلُهُ: «يَنْزِلُ»، بِفَتْحِ الْيَاءِ، فَعَلَّ مَضَارِعَ: وَاللَّهُ، مَرْفُوعٌ بِهِ. وَقَالَ ابْنُ فُورَكٍ: ضَبِطَ لَنَا بَعْضُ أَهْلِ النَّقْلِ هَذَا الْخَبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِضَمِّ الْيَاءِ مِنْ: يَنْزِلُ، يَعْنِي: مِنَ الْإِنْزَالِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ ضَبِطَ عَنْ سَمْعٍ مِنْهُ مِنَ الثَّقَاتِ الضَّابِطِينَ. وَكَذَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَدْ قَبِدَهُ بَعْضُ النَّاسِ بِذَلِكَ فَيَكُونُ مَعْنَى إِلَى مَفْعُولٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: يَنْزِلُ اللَّهُ مُلَكًّا. قَالَ: وَالِدَلِيلِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْرَبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، يَمِيلُ حَتَّى يَمِضِي شَطْرَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ فَيَسْتَجَابُ لَهُ..» الْحَدِيثُ، وَصَحَّحَهُ عَبْدُ الْحَقِّ وَحَمَلُ صَاحِبُ (المعجم) الْحَدِيثَ عَلَى النَّزُولِ الْمَعْنَوِيِّ عَلَى رِوَايَةِ مَالِكٍ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا: «يَنْزِلُ رَبَّنَا»، بِزِيَادَةِ: نَاءٍ، بَعْدَ: يَاءِ الْمَضَارَعَةِ، فَقَالَ: كَذَا صَحَّحَتِ الرِّوَايَةُ عَنَّا، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ فِي النَّزُولِ الْمَعْنَوِيِّ وَإِلَيْهَا يَرُدُّ

الوابع: أن الجمهور سلكوا في هذا الباب الطريق الواضحة السالمة، وأجروا على ما ورد مؤمنين به منزلهن الله تعالى عن التشبيه والكيفية، وهم: الزهري والأوزاعي وابن المبارك ومكحول وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وحمام بن زيد وحمام بن سلمة وغيرهم من أئمة الدين. ومنهم الأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد. قال البيهقي في (كتاب الأسماء والصفات): قرأت بخط الإمام أبي عثمان الصابوني، عقيب حديث النزول: قال الأستاذ أبو منصور - يعني الجمشاذي: وقد اختلف العلماء في قوله: «ينزل الله»، فسئل أبو حنيفة فقال: بلا كيف، وقال حمام بن زيد: نزوله إقباله. وروى البيهقي في (كتاب الاعتقاد) بإسناده إلى يونس بن عبد الأعلى، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: لا يقال للأصل: لَمْ ولا كيف، وروى بإسناده إلى الربيع بن سليمان، قال: قال الشافعي: الأصل كتاب أو سنة أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ أو إجماع الناس. قلت: لا شك أن النزول انتقال الجسم من فوق إلى تحت، والله منزله عن ذلك، فما ورد من ذلك فهو من التشابهات، فالعلماء فيه على قسمين: الأول: المفضضة: يؤمنون بها ويفوضون تأويلها إلى الله، عز وجل، مع الجزم بتنزيهه عن صفات النقصان. والثاني: المؤولة: يؤولون بها على ما يليق به بحسب المواطن، فأولوا بأن معنى: ينزل الله: ينزل أمره أو ملائكته، وبأنه استعارة، ومعناه: التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحو ذلك، وقال الخطابي: هذا الحديث من أحاديث الصفات، مذهب السلف فيه الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنه: ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، وقال القاضي البيضاوي، لما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزله عن الجسمية والنحو امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد دنو رحمته، وقد روي: يهبط الله من السماء العليا إلى السماء الدنيا، أي: ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأراذل وقهر الأعداء والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الإكرام للرفقة والرحمة والعفو، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى. فالنزول: لغة، يستعمل لمعان خمسة مختلفة: بمعنى الانتقال: «وأنزلنا من السماء ماء طهوراً» [الفرقان: ٤٨]. و: الإعلام «نزل به الروح الأمين» [الشعراء: ١٩٣]. أي: أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ، وبمعنى: القول «سأنزل مثل ما أنزل الله» [الأنعام: ٩٣]. أي: سأقول مثل ما قال، والإقبال على الشيء، وذلك مستعمل في كلامهم جار في عرفهم، يقولون: نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دنيتها، ونزل قدر فلان عند فلان إذا انخفض، وبمعنى: نزول الحكم، من ذلك قولهم: كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان، أي: حكم، وذلك كله متعارف عند أهل اللغة: وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب، جل جلاله، من النزول على ما يليق به من بعض هذه المعاني، وهو: إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستيقاظ بالتذكير والتنبيه الذي يلقي في

تَقْسِيرُ الْقَشِيرِيِّ المُسَمَّى لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ

تأليف
الإمام أبي القاسم عبد الحكيم بن هوازن بن عبد الملك
القشيري النيسابوري الشافعي
المتوفى سنة ٤٦٥ هـ

وضع حواشيه وعلق عليه
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

المجلد الثالث

المحتوى :
أول سورة الروم - آخر سورة الناس

منشورات
مجمع أبي بزي
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

تفسير سورة الحديد ٢٩٣

قوله جل ذكره: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

أي أرسلناهم مُؤيدين بالبراهين الواضحة والبراهين الواضحة، وأزخنا العلة لِمَنْ أراد سلوكَ الْحُجَّةِ الْمُثَلَّى، وَيُسِّرْنَا السَّبِيلَ عَلَى مَنْ أَتَى أَتْبَاعَ الْهُدَى. وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ الْمُنْتَزَّلَ، وَالْمِيزَانَ: أي الْحُكْمَ بِالْقُرْآنِ، وَاعْتِبَارَ الْعَدْلِ وَالتَّوَسُّطِ بَيْنَ النَّاسِ. ﴿يَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا.

قوله جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿أَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: أي خَلَقْنَا الْحَدِيدَ.

ونصرة الله هي نصرته دينه، ونصرة الرسول باتباع سُنَّتِهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أَقْوَى مِنْ أَنْ يُتَارَعَهُ شَرِيكٌ، أَوْ يُضَارِعَهُ فِي الْمُلْكِ مَلِكٌ، وَأَعَزُّ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى نَاصِرٍ.

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

أي: أَرْسَلْنَا نُوحًا، وَمِنْ بَعْدِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلْنَا فِي نَسْلِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ نُهُتًا﴾.

أي: مُسْتَجِيبًا.

﴿وَكَبِيرًا مِّنْهُمْ فَسُفُوتًا﴾.

خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ.

قوله جل ذكره: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ مَآثِرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

أي: أَرْسَلْنَا بَعْدَهُمْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِتْدَاعُهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾.

بَيِّنَ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ^(١) بَلْ هُمْ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا ثُمَّ قَالَ:

﴿وَلَا آيِسَاتٌ يَّصْنَعُونَ الْفِرَاقَ﴾.

(١) الرهبانية: مصدر الرهب، والاسم الرهبانية من الرهبة: الخوف؛ فالنصارى كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهد مشاقها، حتى أن منهم من كان يغطي نفسه ويضع السلسلة في عنقه. (لسان العرب ١/ ٤٢٧، ٤٢٨ مادة: رهب).

نَفْسُ الْبَغْوِيِّ الْمُسَمَّى مَعَالِمِ النَّزِيلِ

لِلإِمَامِ الْحَلِيلِ مُحَمَّدٍ السَّنَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ
الْفَرَّاءِ الْبَغْوِيِّ الشَّافِعِيِّ
الْمُتَوَفَّى ١١٦ هـ

إِسْتَدَادَ وَتَحْقِيقَ
خَالِدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمَكِ مَرْوَانَ سَكَّارَ

الْمَجْمُوعَةُ الرَّابِعَةُ

دارُ المَعْرِفَةِ
بِزُورْت. لُبْنَانِ

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢٢﴾ لَنْ يَكُونَ
تَأْسُؤًا عَنْ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٢٣﴾ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِغْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَةٌ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢٥﴾

﴿٢٢١﴾ سابقوا ﴿﴾ سارعوا ، ﴿﴾ إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴿﴾ ، لو وصل بعضها ببعض ، ﴿﴾ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿﴾ ، فين أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله .

﴿٢٢٢﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ : ﴿﴾ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴿﴾ ، يعني قحط المطر وقلة الثبات ونقص الشمار ، ﴿﴾ ولا في أنفسكم ﴿﴾ ، يعني الأمراض وفقد الأولاد ، ﴿﴾ إلا في كتاب ﴿﴾ ، يعني اللوح المحفوظ ، ﴿﴾ من قبل أن نبرأها ﴿﴾ ، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس . قال ابن عباس : من قبل أن نبرأ المصيبة . وقال أبو العالية : يعني النسمة ، ﴿﴾ إن ذلك على الله يسير ﴿﴾ ، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل .

﴿٢٢٣﴾ ﴿﴾ لكيلا تأسوا ﴿﴾ ، تحزنوا ، ﴿﴾ على ما فاتكم ﴿﴾ ، من الدنيا ، ﴿﴾ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴿﴾ ، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله ﴿﴾ فاتكم ﴿﴾ فجعل الفعل له ، وقرأ الآخرون ﴿﴾ أناكم ﴿﴾ بمد الألف ، أي : أعطاكم . قال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً . ﴿﴾ والله لا يحب كل مختال ﴿﴾ ، متكبر بما أوتي من الدنيا ، ﴿﴾ فخور ﴿﴾ ، يفخر به على الناس . قال جعفر بن محمد الصادق : يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرد إليك القوت ، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت .

﴿٢٢٤﴾ ﴿﴾ الذين يخلون ﴿﴾ ، قيل : هو في محل الخفض على نعت المختال . وقيل : هو رفق بالابتداء وخبره فيما بعده . ﴿﴾ ويأمرون الناس بالبغى ومن يتول ﴿﴾ ، أي يعرض عن الإيمان ﴿﴾ فإن الله هو الغني الحميد ﴿﴾ ، قرأ أهل المدينة والشام : ﴿﴾ فإن الله الغني ﴿﴾ ، بإسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم .

﴿٢٢٥﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ : ﴿﴾ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴿﴾ ، بالآيات والحجج ، ﴿﴾ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴿﴾ ، يعني العدل . وقال مقاتل بن سليمان : هو ما يوزن به أي ووضعت الميزان كما قال ﴿﴾ والسما رفهما ﴿﴾ ، بأن وضع ﴿﴾ الميزان ليقوم الناس بالقسط ﴿﴾ ، ليتعاملوا بينهم بالعدل ، ﴿﴾ وأنزلنا الحديد ﴿﴾ ، روي عن ابن عمر يرفعه : إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح ، وقال أهل

٥٧ - سورة الحديد

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبِيَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آلِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَّيْنَا يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٨﴾

المعاني معنى قوله : ﴿ أَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ ، أنشأنا وأحدثنا ، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعه بوجه . وقال قطرب : هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلاً حسناً فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلاً لهم . ومثله قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ . ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ، قوة شديدة يعني السلاح للحرب . قال مجاهد : فيه جنة وسلاح يعني آلة وآلة الضرب ، ﴿ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ ، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله ، ﴿ مَنْ يَنْصُرْهُ ﴾ ، أي دينه ، ﴿ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، أي قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب . ﴿ إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ، قوي في أمره عزيز في ملكه .

٢٧ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبِيَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ثم قفينا على آلهم برسلنا وفقينا يعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴿ ، على دينه ، ﴿ رَأْفَةً ﴾ ، وهي أشد الرقة ، ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ، كانوا متوادين بعضهم لبعض ، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ : ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ ، من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال : وابتدعوا رهبانية أي جاءوا بها من قبل أنفسهم ، ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا ﴾ ، أي ما فرضناها ، ﴿ عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ ، يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بترك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من الطعام والمشرب والملبس والنكاح والتعب في الجبال ، ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ ، أي لم يراعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهيب ، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ ، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة ، ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام ، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنبأني عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصعق بن حرب عن عقیل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنين وسبعين فرقة نجا

زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

لِلإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادى

ولد ٥٠٨ هـ وتوفي ٥٩٦ هـ

رحمته الله تعالى

المحرر: الشيخ

المكتب الإسلامي

وقرأ نافع وابن عامر « فإن الله الغني الحميد » ليس فيها « هو » وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة ، والشام .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي : بالآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) ببيان الشرائع ، والأحكام . وفي « الميزان » قولان . أحدهما : أنه العدل ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنه الذي يوزن به ، قاله ابن زيد ومقاتل . فعلى القول الأول : يكون المعنى : وأمرنا بالعدل . وعلى الثاني : ووضعنا الميزان ، أي : أمرنا به (ليقوم الناس بالقسط) أي : لكي يقوموا بالعدل .

قوله تعالى : (وأنزلنا الحديد) فيه قولان .

أحدهما : أن الله تعالى أنزل مع آدم السندان ، والكلبتين ، والمطرقة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن معنى « أنزلنا » : أنشأنا وخلقنا ، كقوله تعالى : (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) [الزمر : ٦] .

قوله تعالى : (فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) قال الزجاج : وذلك أنه يُمْتَنَعُ به ، ويُجَارَبُ به (ومنافع للناس) في أدواتهم ، وما ينتفعون به من آتية وغيرها^(١) .

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (وأنزلنا الحديد فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) أي : وجعلنا الحديد وادعاً لمن أذى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ، قال : ولهذا أقام رسول الله ﷺ بحجة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان

نَفْسُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

المحافظ

عِمَادُ الدِّينِ، أَبِي إِفْدَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدِّمَشْقِيُّ
المتوفى ٧٧٤ هـ

المجلد السادس

دار مكتبة الهلال

بيروت - لبنان

يقول تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات، والخجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو النفل الصدق ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو العدل قاله مجاهد وقادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للأراء السقيمة كما قال تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ وقال تعالى ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقال تعالى ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ ورفعها ووضع الميزان ﴿وَهَذَا قَوْلٌ فِي هَذِهِ آيَةِ﴾ ليقوم الناس بالقسط أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جازا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال ﴿وَنُفِثَ كَلِمَةً بِكَ صَدَقًا وَعَدْلًا﴾ أي صدقاً في الإخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي وهذا يقول المؤمنون إذا تسوؤا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِنَتَّبِعِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾. وقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيّنات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المهلب الجرمي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» ولهذا قال تعالى ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني السلاح كالسيف والخراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي في معاشهم كالسكة والفأس والقدم والمناشير والأزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والحز وما لا قوام للناس بدونها وغير ذلك. قال علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكليتان والمقعة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقوله تعالى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم ببعض.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمَنْهُمْ مُنْذِرٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ رُسُلَنَا وَفَقَّيْنَا يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٢﴾

جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

و معه
حاشية
محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تمت
الزيتون عبد الحميد هندوي
الدراسات بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
المجلد الرابع

المحتوى:
مسؤول سورة غافر - إلى آخر سورة الناس

مستشارات
مكتبة دار العلوم
لتنشر كتاب الشريعة والعلوم
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

نزل جبريل -عليه السلام- بالميزان إلى نوح -عليه السلام-، وقال: مر قومك يزنون به، ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليتعاملوا بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: أنشأنا، وأحدثنا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكليتان والمطرقة^(١)، ﴿الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: هو القتال به مع من عاند الحق، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: إذ هو آلة لأكثر الصنائع، ﴿وَلْيَعْلَمِ اللَّهُ﴾: عطف على معنى فيه بأس شديد ومنافع فإنه حال يتضمن تعليلاً أي: أنزلناه للباس وللنفع وللعلم وقيل: عطف على ليقوم الناس، ﴿مَنْ يَنْصُرْهُ﴾ أي: دينه، ﴿وَرُسُلَهُ﴾: باستعمال آلات الحرب مع أعداء الله تعالى، ﴿بِالْقَيْبِ﴾: غائباً عن الله تعالى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- يصرونه ولا يصرونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: في أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾: في ذاته لا يحتاج إلى نصره ناصر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْنَهُمْ مَهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ٥٥﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آلِهِم بِرُسُلِنَا وَفَقَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ٥٦﴾ يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٧ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٥٨﴾

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢ وحيز.

جَاشِيَّة

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ زَادَةَ

مُجَدِّدُ مُصْلِحِ الدِّينِ مُصْطَفَى الْقَوَّجُوِّ الْحَنَفِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٥١ هـ

عَلَى

تَفْسِيرِ الْقَاضِي لِبَيْضَاوِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٥ هـ

صَبَّطَةُ وَصَحَّةُ وَخَرَجَ آيَاتُهُ
يُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ شَاهِينِ

الْجُزْءُ الثَّامِنُ

المحتوى:

مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ التَّجْمِيدِ حَتَّى آخِرِ سُورَةِ النَّاسِ

مَشْهُورَاتُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ شَاهِينِ

دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ

يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الأعداء كما قال: ﴿وَأَرْزَلْنَا أَعْقَابَهُمْ فِيهِمُ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإن آلات الحروب متخذة منه. ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَصْرُوهُ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار. والمعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلاً أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله

إنزال أسبابه. وقيل: الإنزال ههنا بمعنى الإنشاء والهيئة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ نَبِيَّةً أَنْزَجَ﴾ [الزمر: ٦] وقيل: هو من باب علقته تبتاً وماء بارداً، وتقدير الكلام: أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان. ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى: ﴿وَالشَّامَةُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ آلِيزَارَتَ﴾ [الرحمن: ٧] والمراد بوضعه الأمر باستعماله. وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به. وقيل: المراد بالميزان العدل وبإنزاله إنزال الأمر به. **قوله تعالى:** (فيه بأس شديد) جملة حالية من «الحديد» قيل: معناه فيه من خشية القتل خوف شديد. وقال مجيب السنة: فيه قوة شديدة في الحرب. وفي الصحاح: البأس العذاب والبأس الشدة في الحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح، والمعنى: إنه متخذ منه أكنان للحرب آلة الدفع وآلة الضرب. قال أهل المعاني: معنى «أنزلنا الحديد» أحدثناه وأنشأناه كما في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وقوله: ﴿أَرْزَلْنَا عَنْكُمْ آلِيزَارَتَ﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك أن أوامر الله تعالى وأحكامه تنزل من السماء. وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله عز وجل أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل النار والحديد والماء والملح. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكليتان والميعة والمطرقة والإبرة. السندان يروى بفتح السين وكسرهما يقال له بالتركي أورس. والكليتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى. والميعة المبرد وهو ما يحد به الحديد. والمطرقة آلة يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركي حكوج. فعلى هذا الإنزال على حقيقته. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ بعد قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ إشارة إلى أن تمشية قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به يتوقفان على والي صاحب سيف يقيم به أمر السياسة ويفهر به من تجاوز القسط وتعدى وظلم، فإن الظلم من شيم النفوس الأمارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم. ثم قال: ﴿وَمَنْافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى القائم بالسيف يحتاج أيضاً إلى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع وآلات المحترقة.

قوله: (والمعطف على محذوف) يعني أن قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فإنه حال فيه معنى التعليل

نَفْسِي الْخَطِيئَةُ الشَّرِيفَةُ

المستقى
السيراج المُنِير
في الإِيعَانَةِ
عَلَى مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَعَانِي كَلَامِ رَبَّنَا الْحَكِيمِ الْجَمِيلِ

تأليف
الإمام الشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري
المتوفى نحو سنة ٩٧٢ هـ

عزّه أباه وأمه وأخوه وأخواته
إبراهيم شمس الدين

الطبعة الأولى

الطبعة الثانية

سنة أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة التوبة

مكتبة
دار الكتب العلمية

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بيان النقول الثابتة الصريحة من
نصوص أعلام الأئمة والمفسرين
وشُراح الحديث، من السلف والخلف،
والمذاهب الأربعة، في شرح وتأويل
حديث النزول بما يوافق عقيدة
الهدى والتوحيد، ويُبطل مزاعم
أهل التشبيه والتجسيم والضلال.

الْجَامِعُ الصَّحِيحُ

وَصَوِّ

سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ

لِابْنِ عِيسَى مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى بْنِ سُوْرَةَ

٢٧٩ - ٢٠٩ هـ

تَحْقِيقٌ وَتَخْرِيجٌ وَتَعْلِيلٌ
عَلَى كِتَابِ وَاسْتِثْنَاءِ

مُحَمَّدٍ فَوَادِعُ الْبَاقِي

الْحِزْمُ الثَّالِثُ

دَارُ النَّسَبِ الْعِلْمِيَّةِ

بَيْرُوت - لُبْنَان

٥ - كتاب الزكاة

باب (٢٨)

حديث (٦٦١ و ٦٦٢)

قَالَ : فِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، وَأَنْسَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ ، وَحَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَبُرَيْدَةَ .
* قَالَ أَبُو عِيَسَى : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

٦٦٢ - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ . حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَنْصُورٍ . حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ . قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِمِيزَانٍ ، فَيُوزِنُهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ مِيزَانَهُ . حَتَّى إِنْ الْقِيَمَةُ لَتَصِيرَ مِثْلَ أَحَدٍ » .

وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (أَلَمْ يَمْطُوا أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذَ الصَّدَقَاتِ) وَ (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ) .

* قَالَ أَبُو عِيَسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوُ هَذَا .

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشِيرُ هَذَا مِنَ الرُّوَايَاتِ مِنَ الصَّفَاتِ . وَنَزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلِّ نَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالُوا : قَدْ ثُبُتَتِ الرُّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يَتَوَهَّمُ ، وَلَا يُعَالَى ، كَيْفَ ؟ .

الحديث رقم ٦٦٢

تخرجه :

أصل الذي ثابت في الحديث السابق .

٥ - كتاب الزكاة

باب (٢٨)

(٦٦٣ و ٦٦٢) حديث

هَكَذَا رَوَى عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَمْرُهَا بِلاَ كَيْفٍ. وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: أَلْيَدٌ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ. فَتَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الْآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ. وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ. وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ هُنَا الْقُوَّةُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيْدٌ أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ. فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ فَهَذَا التَّشْبِيهُ.

وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيْهًا. وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

٦٦٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ . حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ . حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ مُوسَى عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : « سُئِلَ النَّبِيُّ

الحديث رقم ٦٦٣

تخریجه :

لم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة ، سوى الترمذي .

منشورات محمد عیسیٰ بیضون
دارالکتاب العلمیہ

الْأَعْنَافُ وَالْمَهْدُ الْبَلِيَّةُ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ
أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٥٨ هـ

صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
كَالِ يُوسُفَ الْجُوتِ
مَرْكَزُ الْخَدَمَاتِ وَالْبَحْثِ النَّفَاقِيَّةِ

عالم الكتب

النبي ﷺ، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وأمن به ولم يؤوله، ووكل علمه إلى الله، ونفي الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وأمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة، ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات^(١) في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب. وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستوى على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفيها عنها التكيف، فقد قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٢) وقال: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾^(٣) وقال: ﴿هل تعلم له سمياً﴾^(٤).

أخبرنا محمد بن عبد الله للحافظ، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا الهيثم بن خارجة، حثينا الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن يزيد، سمعت أبا يحيى البزار يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينه يقول: كل ما وصف الله من نفسه

الموطأ: في القرآن: باب ما جاء في الدعاء، وأبو داود في الصلاة: باب أي الليل أفضل.

(١) ص: ٤٤٩ وما بعدها

(٢) الشورى: ١٠

(٣) الاخلاص: ٥

(٤) مريم: ٦٥

من تراث الكوثوس

(١٦)

كِتَابُ

الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ

للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي
البيهقي

المنوف سنة ٤٥٨ هجرية

قدم له وعاق عليه فضيلة أستاذنا العلامة

محمد زاهد بن عبد الجبار

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقا

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ ربيع الأول ١٤١٧ هـ / ١٢٠٨٤٧ م

من الغمام والملائكة ﴿ يقول الملائكة يجيئون في ظلل من الغمام، والله عز وجل يجيء فيما يشاء، وهي في بعض القراءة ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام ﴾ وهي كقوله ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً ﴾ قلت فصيح بهذا التفسير أن الغمام إنما هو مكان الملائكة ومركبهم، وأن الله تعالى لا مكان له ولا مركب، وأما الإتيان والجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلاً يسميه إتياناً ومجيئاً، لا بان يتحرك^(١) أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شئ. وهذا كقوله عز وجل ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ ولم يرد به إتياناً من حيث النقلة، وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخر عليهم السقف من فوقهم، فسمي ذلك الفعل إتياناً، وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولاً بلا حركة ولا نقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين.

«أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا أحمد بن سلمان النجاد قال قرئ على سليمان ابن الأشعث الأشجعي وأنا أسمع ثنا القعني عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ قال « ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له ». وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا جعفر بن محمد بن الحسين ثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك فذكر بمعناه. رواه البخاري في الصحيح عن القعني ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى، ورواه أيضاً يحيى بن أبي كثير ومحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

(١) وإثبات الحركة والانتقال والجهة ونحوها لله سبحانه تجميع صريح بغير كتاب ولا سنة. وكذلك إثبات الحد والجلوس والتماسه، تعالى الله عن ذلك. وإثبات النقلة والحركة له تعالى رغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام وميل إلى أعدائه الصابغة عبدة الأجرام العلوية، وإن وقع في كلام حرب ابن إسماعيل وعثمان بن سعيد وغيرهما من قادة الحشوية، ونصوص كلماتهم مدونه في تكملة الرد على نونية ابن القيم.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصاغانى والعباس بن محمد الدروى قالا: ثنا محاضر ابن المورع ثنا بن سعيد أنا سعيد بن مرجانة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « ينزل^(١) الله إلى السماء الدنيا لشطر الليل - أولثلث الليل - الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له؟ أو يسألنى فأعطيه؟ ثم يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟ رواه مسلم فى الصحيح عن حجاج بن الشاعر عن محاضر بن المورع، وأخرجه أيضاً من حديث أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورواه أيضاً أبو جعفر محمد بن على فى آخرين عن أبى هريرة رضى الله عنه.

* أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك أنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا شعبة أنا أبو إسحاق قال سمعت الاغر يقول أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى ثلثا الليل ثم يهبط فيقول هل من سائل؟ هل من تائب؟ هل من مستخفر من ذنب؟ فقال له رجل حتى يطلع الفجر؟ فقال نعم» أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث غندر عن شعبة وقال: فينزل بدل قوله ثم يهبط، وبمعناه قاله منصور عن أبى إسحاق عن الأغر أبى مسلم ينزل^(٢) إلى السماء الدنيا.

(١) قد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أى ينزل ملكاً. ويقويه حديث النسائى عن أبى هريرة وأبى سعيد قال رسول الله ﷺ: « إن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يامر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له؟ » الحديث، وصححه عبد الحق، بل هذا الحديث يعين أن الإسناد مجازى فى صنع الثلاثى من روايات الحديث فيخرج الحديث من أن يكون من الأحاديث المتشابهة، على أن شطر الليل وثلاثة مما يختلف باختلاف المطالع والمغرب، كما يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه. فثبت أن ذلك فتح باب القبول لاهل كل اقف. وأما من جعل ذلك ثقله فقد جسم وخالف البرهان العقلى، والدليل الشرعى وضرورة الحس. راجع الفصل لابن حزم وشرح البخارى للبدر العينى.

(٢) قال البدر العينى فى شرح البخارى: إذا أضيف الجهر والاتبان والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التى هى تفرغ مكان وشغل غيره، ويحمل على ذلك، وإذا أضيف إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى، فالنزول لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة: بمعنى الانتقال كما فى قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) وبمعنى الاعلام نحو قوله تعالى (نزل به الروح الامين)

* أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ شَيْبَةَ الشَّاهِدُ بِهِمَدَانُ ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ أَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ ح. وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكْرِيَا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْفَقِيهَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْوَاسِطِيُّ ثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّيَالِسِيُّ ثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ نَافِعِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَاتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَاغْفِرْ لَهُ؟ قَالَ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ». لَفْظُ حَدِيثِ الْوَاسِطِيِّ وَهُوَ أَتَمُّ، وَقَدْ رَوَى فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَرِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَمْرِو بْنُ عَبْسَةَ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَى فِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَغَيْرِهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ وَأَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَا: ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيُّ أَنَا سَلَمُ بْنُ قَادِمٍ ثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ قَالَ قَالَ لِي عَبَادُ بْنُ الْعَوَامِ: قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْذُ نَحْوِ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنْ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِّلَةِ يَنْكُرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ. قَالَ فَحَدَّثَنِي بِنَحْوِ مِنْ عَشْرَةِ أَحَادِيثَ فِي هَذَا، وَقَالَ: أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا دِينَنَا هَذَا عَنِ التَّابِعِينَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَمَّ عَمَّنْ أَخَذُوا؟

* أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا زَكْرِيَا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرُوزِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ قَاضِي^(١) فَارِسَ يَقُولُ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ:

«أَيُّ أَعْلَمَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ مُحَمَّدًا ﷺ. وَبِمَعْنَى الْقَوْلِ نَحْوِ (سَائِرُ) مِثْلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ (أَيُّ) سَائِرُ) مِثْلُ مَا قَالَ. وَبِمَعْنَى الْأَقْبَالِ عَلَى الشَّيْءِ، وَبِمَعْنَى نَزُولِ الْحُكْمِ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مُتَعَارَفٌ عِنْدَ أَهْلِ اللَّغَةِ. وَإِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً فِي الْمَعْنَى وَجِبَ حَمْلُهَا وَصْفُهَا بِالرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنَ النَّزُولِ عَلَى مَا يُلِيقُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَهُوَ إِقْبَالُهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِالرَّحْمَةِ أ. هـ. رَاجِعٌ عَمْدَةُ الْقَارِي (٦٢٣:٣) ز.

(١) وَهُوَ مُجْهُولٌ. ز.

دخلت يوما على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له: ويقدر، فسكت عبد الله. قال أبو العباس أخبرني الثقة من أصحابنا قال سمعت إسحاق بن راهويه يقول: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير إن الله تعالى بعث إلينا نبيا نقل إلينا عنه أخبار بها نحلل الدماء، وبها نحرم، وبها نحلل الفروج، وبها نحرم، وبها نبيع الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك. قال فأمسك عبد الله. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول سمعت أحمد بن سلمة يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم ابن أبي صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسررتها، فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت أمنت برب يفعل ما يشاء. قال فرضى عبد الله كلامي وأنكر على إبراهيم. هذا معنى الحكاية.

* وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا زكريا العنبري يقول سمعت أبا العباس يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: دخلت يوما على طاهر بن عبد الله بن طاهر وعنده منصور بن طلحة، فقال لي: يا أبا يعقوب إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له تؤمن به؟ فقال طاهر: ألم انهك عن هذا الشيخ، ما دعاك إلى أن تسأله عن مثل هذا؟ قال إسحاق فقلت له إذا أنت لم تؤمن أن لك ربا يفعل ما يشاء، لست تحتاج أن تسألني. قلت فقد بين إسحاق بن إبراهيم الحنظلي في هذه الحكاية أن النزول عنده من صفات الفعل، ثم إنه كان يجعله نزولا بلا كيف، وفي ذلك دلالة على أنه كان لا يعتقد فيه الانتقال والزال.

* أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنا أبو محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني قال وفيما أجازني جدي - يعني محمود بن الفرخ - قال قال إسحاق بن راهويه سألتني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ - يعني في النزول - فقلت له النزول بل كيف.

* قال أبو سليمان الخطابي: هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث

فِي الصِّفَاتِ كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ فِيهَا الْإِيمَانُ بِهَا، وَإِجْرَاءُهَا عَلَى ظَاهَرِهَا وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا، وَذَكَرَ الْحِكَايَةَ الَّتِي أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْخَارِثِ الْفَقِيهَ أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ حَيَّانَ ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ ثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثَنَا أَبُو مَصْفًى ثَنَا بَقِيَّةُ ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَمَكْحُولٍ قَالَ أَمْضُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى مَا جَاءَتْ.

* أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ ثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِالْوَيْةِ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَرٍ بْنُ مَطَرٍ ثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ سَعَلَ الْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكٌ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَاللِّثْبِيُّ عَنْ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِي التَّشْبِيهِ فَقَالُوا: أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفِيَّةٌ.

* قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ، كَيْفَ يَنْزِلُ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ كَدَخْدَائِ^(١) كَارْخَوَيْشُ كَنَ يَنْزِلُ كَمَا يَشَاءُ.

* أَخْبَرَنَا أَبُو عِثْمَانَ ثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَدْلُ ثَنَا مُحِبُّوهُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاضِي ثَنَا جَدِّي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحِبُّوهُ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَتَكِيُّ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ فَذَكَرَ حِكَايَةَ قَالَ فِيهَا فَقَالَ الرَّجُلُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ يَنْزِلُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ كَدَخْدَائِ كَارْخَوَيْشُ كَنَ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا يَنْكُرُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْحَدِيثِ مِنْ يَقْيِسُ الْأُمُورَ فِي ذَلِكَ بِمَا يَشَاهِدُهُ مِنَ النَّزُولِ الَّذِي هُوَ نَزْلَةٌ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ، وَانْتِقَالٌ مِنْ فَوْقَ إِلَى تَحْتٍ، وَهَذَا صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ، فَأَمَّا نَزُولُ مَنْ لَا يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْأَجْسَامِ فَانْ هَذِهِ الْمَعْنَى غَيْرُ مَتَوَهِّمَةٍ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَعُظْفَةٍ عَلَيْهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِ دَعَاءَهُمْ وَمَغْفَرَتِهِ لَهُمْ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا يَتَوَجَّهُ عَلَى

(١) بِمَعْنَى لَيْكُنْ تَحْدِثُكَ عَنْ أَعْمَالِ نَفْسِكَ، وَتَزْعَمُكَ وَإِشْرَافَكَ عَلَيْهَا فَقَطْ. وَلَيْسَتْ بِمُشْرِفٍ عَلَى أَعْمَالِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ. وَكَدَخْدَا بِمَعْنَى صَاحِبُ الْبَيْتِ الْمُشْرِفِ عَلَى شِئُونِهِ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي لُغَةِ مِصْرَ بِلَفْظِ «كَخْيَا» ز.

والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون، وكلاهما من أعراض الحدث، وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعال عنهما، ليس كمثله شيء. فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش. قال: وإنما ذكرت هذا لكي يتوفى الكلام فيما كان من هذا النوع، فانه لا يثمر خيرا ولا يفيد رشدا، ونسال الله العصمة من الضلال، والقول بما لا يجوز من الفاسد والمحال.

* وقال القتيبي: قد يكون النزول بمعنى إقبالك على الشيء بالأرادة والنية، وكذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ والمصير، وأشباه هذا من الكلام، وذكر من كلام العرب ما يدل على ذلك. قال: ولا يراد في شيء من هذا انتقال يعني بالذات، وإنما يراد به القصد إلى الشيء بالأرادة والعزم والنية.

* قلت وفيما قاله أبو سليمان رحمه الله كفاية، وقد أشار إلى معناه القتيبي في كلامه، فقال: لا نحتم على النزول منه بشيء، ولكننا نبين كيف هو في اللغة والله أعلم بما أراد.

* وقرأت بخط الأستاذ أبي عثمان رحمه الله في كتاب الدعوات عقيب حديث النزول قال الأستاذ أبو منصور يعني الحمشاذي على إثر

النصوص والآثار على التجليات المصطلح عليها فيما بعد عهد التنزيل بدهور استعمالها في حقائقها؟ ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب سبيل السلف الصالح، ومسلكت أئمة أصول الدين، ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة أهل النقد في الجرح والتعديل، والتقوم والتعليل، وجانب أصفياء الصوفية القائلين بالتوحيد الشهوي، بل حاد عن فرق هذه الأمة جمعاء، غير الحلولية من طوائف المشبهة، فعبقات هذا الخائد عقبات دون الوصول إلى الحقائق، وهكذا تكون وبيلات الشذوذ عن الجماعة. وقد أطفأ الله سبحانه نار فتنة وفتن جده، وطالما التهمت طوائف من أصفياء أهل بلادهما. ولنا عودة إلى بسط ما للحفيد والجد من وجوه التهافت والانحراف عن الصواب في جزء خاص إن شاء الله تعالى، تحذيرا لآخواننا الأصفياء المتقين. وآسف جد الأسف أن يروج اللف والدوران والكلام المبهرج الذي لا معنى تحته على المخلصين فيفسد عليهم منهجهم القويم. وإحسان الظن البالغ في الشيوخ موقع في شيكات الزيع نسال الله السلامة. ز.

الخير . وقد اختلف العلماء في قوله ينزل الله فسئل أبو حنيفة عنه فقال : ينزل بلا كيف وقال حماد بن زيد : نزوله إقباله ، وقال بعضهم ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بالتجلى والتملى ، لأنه جل جلاله منزّه عن أن تكون صفاته مثل صفات الخلق ، كما كان منزها عن أن تكون ذاته مثل ذات الغير ، فمجيئه وإتيانه ونزوله علي حسب ما يليق بصفاته ، من غير تشبيه وكيفية . ثم روى الامام رحمه الله عقبيه حكاية ابن المبارك حين سئل عن كيفية نزوله ، فقال عبد الله : كدخاى كارخويش كزينزل كيف يشاء . وقد سبق من هذه الحكاية بأسناده ، وكتبها حيث ذكرها أبو سليمان رحمه الله .

✽ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزنى يقول : حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة ، وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قول تعالى (وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صِفًا صَفًا) والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى ، من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال ، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه ، جل الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهه بها علواً كبيراً .

✽ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله بن يعقوب ثنا محمد بن عمرو الحرشى ثنا القعنبي ثنا يزيد بن إبراهيم التستري عن عبد الله بن أبي ملكية عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت « تلا رسول الله ﷺ : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) قالت قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله عز وجل فاحذروهم » . رواه البخارى ومسلم فى الصحيحين عن القعنبي .

(بَابُ مَا رَى فِي التَّقَرُّبِ وَالْإِتْيَانِ وَالْهَرُولَةِ)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا

هذا الراوي، إذ سائر الراوة يقولون «إذا تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً» ويقولون في تمام الحديث «وإذا أتاني بمشي أتيتته أهول». والباع والبوع مستقيمان في اللغة جاريتان على سبيل العربية، والأصل في الحروف الواو فقلبت الواو ألفاً للفتحة.

* ثم الجهمية وأصناف القدرية وأخفاف المعتزلة المجترئة على رد أخبار الرسول بالمزيف من المعقول، لما ردوا إلى حولهم وأحاط بهم الخذلان واستولى عليهم بخدائعه الشيطان، ولم يعصمهم التوفيق ولا استنقذهم التحقيق، قالوا: الهرولة لا تكون إلا من الجسم المتثقل، والحيوان المهلول، وهو ضرب من ضروب حركات الإنسان كالهرولة المعروفة في الحج، وهكذا قالوا، في قوله: تقربت منه ذراعاً، تشبيهه إذ يقال ذلك في الأشخاص المتقاربة والأجسام المتدانية، الحاملة للأعراض، ذوات الأيساط والانقباض، فاما القديم المتعالي عن صفة المخلوقين، وعن نعوت المخرعين، فلا يقال عليه ما ينتمى به التوحيد ولا يسلم عليه التمجيد فاقول إن قول الرسول ﷺ موافق لقضايا العقول إذ هو سيد الموحدين من الأولين والآخرين، ولكن من نبذ الدين وراءه وحكم هواه وآراءه، ضل عن سبيل المؤمنين، وباء بسخط رب العالمين، تقرب العبد من مولاه بطاعته وإراداته وحركاته وسكناته سراً وعلناً، كالذي روى عن النبي ﷺ «ما تقرب العبد منى بمثل ما تقرب من أداء ما افترضته عليه، فلا يزال يتقرب إلى بالنوافل حتى أكون له سمعاً وبصراً» وهذا القول من الرسول ﷺ من لطيف التمثيل عند ذوى التحصيل، البعيد من التشبيه، المكين من التوحيد، وهو أن يستولى الحق على المتقرب إليه بالنوافل حتى لا يسمع شيئاً إلا به، ولا ينطق إلا عنه، نشرأ لآلئه، وذكراً لنعمائه، وإخباراً عن مننه المستغرقة للخلق، فهذا معنى قوله يسمع به وينطق ولا يقع نظره على منظور إليه إلا رآه بقلبه موحداً، وبلطائف آثار حكمته ومواقع قدرته من ذلك المرئى المشاهد، يشهده بعين التدبير وتحقيق التقدير، وتصديق التصوير.

* وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد.

* فتقرب العبد بالأحسان، وتقرب الحق بالامتنان، يريد أنه الذي أدناه، وتقرب العبد إليه بالتوبة والأتابة، وتقرب الباري إليه بالرحمة

والمغفرة، وتقرب العبد إليه بالسؤال، وتقربه إليه بالنوال، وتقرب العبد إليه بالسر وتقربه إليه بالبشر، لا من حيث توهمته الفرقة المضلة الأعمال والمتغاية بالأعثار .

❖ وقد قيل في معناه إذا تقرب العبد إلى بما به تعبدته، تقربت إليه بماله عليه وعدته . وقيل في معناه إنما هو كلام خرج على طريق القرب من القلوب دون الحواس، مع السلامة من العيوب، على حسب ما يعرفه المشاهدون، ويجده العابدون، من أخبار دنو من يدنو منه، وقرب من يقرب إليه، فقال على هذه السبيل وعلى مذهب التمثيل ولسان التعليم بما يقرب من التفهيم، إن قرب الباري من خلقه بقربهم إليه بالخروج فيما أوجبه عليهم، هكذا القول في الهرولة، إنما يخبر عن سرعة القبول، وحقيقة الأقبال ودرجة الوصول، والوصف الذي يرجع إلى المخلوق مصروف على ما هو به لائق، ويكونه متحقق، والوصف الذي يرجع إلى الله سبحانه وتعالى يصرفه لسان التوحيد، وبيان التجريد، إلى نعوته المتعالية، وأسمائه الحسنى ولولا الأملال أحذره وأخشاه، لقلت في هذا ما يطول دركه، ويصعب ملكه، والذي أقوله في هذا الخبر وأشباهه من أخبار الرسول ﷺ المنقولة على الصحة والاستقامة بالرواه الأثبات العدول، وجوب التسليم، ولفظ التحكيم، والانقياد بتحقيق الطاعة، وقطع الريب عن الرسول ﷺ وعن الصحابة النجباء الذين اختارهم الله تعالى له وزراء وأصفياء، وخلفاء، وجعلهم السفراء بيننا وبينه ﷺ، عن حق عداه أو عدوه، وصدق تجاوزه، والناس ضربان مقلدون وعلماء، فالذين يقلدون أئمة الدين سبيلهم أن يرجعوا إليهم عنه هذه الموارد، والذين منحوا العلم ورزقوا الفهم هم الأنوار المستضاء بهم، والأئمة المقتدى بهم، ولا أعلمهم إلا الطائفة السنية والحمد لله رب العالمين .

❖ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمود العسكري بالبصرة ثنا أبو عبد الرحمن النسائي أحمد

السُّنَنِ الْكُبْرَى

لِإِمَامِ الْحَدِيثِ الْكَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ
ابْنِ عَلِيِّ الْبَيْهَقِيِّ "٤٥٨ هـ".

رَفِي زَيْلِهِ

الْجَوْهَرُ النُّقِيُّ

لِلْعَلَمِيعَةِ عَمَّادِ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ الْمَازِينِيِّ
السُّبَيْرِيِّ "بَابُ النُّقْيَانِي" الْمُتَوَفَّى ٧٤٥ هـ

وَزَيْلِهِ

فَهْرَسْتُ الْأَعْلَامِ

مُعَدَّ

الدُّكْتُورُ يُوْسُفُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعُشَيْلِيُّ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

دارُ المعرفة

بِزُورْت - لُبْنَان

١٢ - قيس - لا يصدق ١٣ (٢) قيس - وانجي والتزول ١٤ (٣) كما في النسخ وفنسن اداود حزه ١٥

الشَّكَايَا فِي أَصُولِ الدِّينِ

تَأَلِيفُ

إِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْمَعَالِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ

الْجَوَيْنِيِّ الشَّافِعِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧٨ هـ

وَضَعَ حَوَاشِيَهُ

عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ مُحَمَّدٌ عَمْرٌ

مَنْشُورَاتُ

مُحَمَّدُ بْنُ بَيْهَقٍ

دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ

بَيْرُوت - لُبْنَانُ

ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾. أي آمنا به جميعاً بحكمه ومتشابهه، لكن إيمانهم بالمتشابه لا ينقض إيمانهم بالحكم الذي هو الأصل، فهم لا يشبهون الله بخلقه، بل يكلون العلم بمعنى المتشابه إلى الله عز وجل، معتقدين أن له معنى شريفاً يليق به سبحانه، فلا هم بالمعطّلين للنصوص ولا هم بالمشبهين، ومذهبيهم وسط بين الطائفتين الشاذتين عن سبيل أهل الحق، وهما المعطّلة والمشبّهة.

وعلى هذا درجَ سلف الأمة من صحابة وتابعين وتابعيهم، ولو ذهب أسرد لك كلماتهم في هذا، لطال بي القول وامتدَّ الكلام.

لكن لما ظهرت البدعة، وتطلعت رؤوس أهل الزيغ، وصاروا يشوشون على المسلمين عقائدهم، خشي علماء المسلمين على العقائد أن يلحقها لوثٌ وفساد، فاعتمدوا تأويل النصوص المتشابهة في إطار اللغة العربية وضمن سور الشريعة، فأولوا الاستواء بالاستيلاء مثلاً مستأنسين بقول العربي:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مُهراق

المامل / كتاب التوحيد

٣٢١

يجب انقضائها في القطعيات.

وذهب الأستاذ أبو إسحاق إلى أن الحديث المدون في الصحاح الذي لم يعترض عليه أحد من أهل الجرح والتعديل، وهو مما يقضي به في القطعيات، وليس من أصله أنه يبلغ مبلغ التواتر، إذ لو بلغه، لأوجب العلم الضروري، ولكنه مما يوجب العلم استدلالاً ونظراً. والصحيح في ذلك طريقة القاضي، فإن الحديث - وإن رواه الإثبات ونقله بالثقات - فلم يجمع أهل الصنعة على صحته؛ على معنى أنه منقول عن الرسول ﷺ قطعاً. وإنما انتكف أهل التعديل عن التعرض للحديث الذي نقلوه من حيث لم يظهر لهم ما يتضمن قطعاً وقدحاً في الثقل. وهم مع ذلك يجوزون على رواية الخبر أن يزلوا ويخلطوا، ولا يجوبون لهم العصمة. وسبيلهم كسبيل العدول المرضيين، إذا شهدوا على حكومة في مفصل القضاء. ويشترع القاضي إلى إبرام القضية بشهادتهم، فلا يتضمن ذلك قطعاً تصديقهم، ولكنه حكم في ذلك بما تقتضيه الظواهر، فكذلك سبيل الإخبار. وقد نقصنا القول في ذلك في الأصول، وأوضحنا أن الأمة لو اجتمعت على العمل بخير من أخبار الآحاد، فاجماعهم على العمل به لا يوجب القطع بصحته. ثم لو تقلبنا والزمن التأويل، فمسلكه سهل المدرك، قريب المتنازل في ذلك، لأن النزول ليس من ضرورة معناه ومقتضاه أن ينشأ عن التحول والانتقال، وشغل الجهات والزوال عن أمثالها، إذ قد يطلق النزول فيما يستحيل فيه الزوال والانتقال. فيقال: نزل بالناس نازلة. ولا يراد بذلك انتقال شيء إليهم من قطر إلى قطر. والآيات المشتبهة على إنزال القرآن تجري هذا المجرى، وليس المراد بإنزاله نقله من موضع إلى موضع.

هذا ما صار إليه أهل التحصيل، ولا اكترت بقول الجبهة الحشوية في اعتقادهم أن الكلام ينتقل من جهة إلى جهة، فإن أهل التحصيل على مذهبين: فمنهم من حكم بقدم الكلام، وهم الذين صاروا إلى أنه صفة قديمة، قائمة بذات الرب، يستحيل عليها الزوال والانفصال. ومن حكم بحدث الكلام، منع انتقاله أيضاً من حيث كان عرضاً. فقد وضع أن النزول يطلق فيما يستحيل فيه الانتقال والزوال. وقد قامت الدلالة الفاطمة على استحالة الانتقال على القديم. وأقرب الناس إلى التزام الكفر الصراح من جَوَّزَ على الرب الانتقال. فإن من أوضح دلالات حدث الجواهر، جواز انتقالها. فإذا حمل النزول فيما قامت الدلالة على استحالة انتقاله كالأعراض على غير انتقال، فيجب حمل النزول في الحديث على غير الانتقال، ثم السبيل فيه أن يقال: المعنى بالنزول ظهور أحكام الله تعالى في السماء الدنيا، واستيفاضه آيات الرحمة. كما أن المعنى ينزول القرآن إلى أهل السموات والأرض تثبيت الإفهام لهم، وتخصيصهم بالعلم. والذي يحقق ذلك أن المقصد من الحديث، اختصاص

٣٢٢

الشامل / كتاب التوحيد

بعض ساعات الليل وآتاته برحمة الله ورأفته، وتوقع إجابة الدعوات فيه. فهذا مقصد الحديث ومساقه، والرب سبحانه وتعالى موصوف بالاعتدال على ذلك من غير تقدير انتقال. ولو قدر زائغ انتقالاً، فلا أثر له فيما هو مقصد الحديث، والمتمسك من مساقه.

والذي يوضح ما قلناه: اتفاق المسلمين على أن المعنى بقوله ﷺ: «إن الله تعالى يقول إذا تقرب العبد مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي، أتيت به هرولاً»^(١)؛ محمول على غير الانتقال والنزول. وإنما المراد به إزلاف الدرجات، والتمسك بما فيه مرضاة الله من الطاعات. والمراد يقرب الله إحسانه، وتفضله، وقبوله الطاعات من أولياته. ولم يحمل أحد من أهل التحصيل هذا الحديث على ظاهره. فسيبيل التأويل في النزول يداني ذلك؛ بل ما قلناه في النزول أظهر منه في المشي والهرولة، والقرب المقيد بالذراع والباع.

وعلى قريب من ذلك، حمل المسلمون ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يوطئ المؤمن المسجد إلا ينشئ الله به، كما ينشئ أهل الغائب بمقدمه^(٢)، فهو محمول على وقوع ذلك من العبد موقع الرضا. ومن تدبر موارد هذه الأحاديث، ألفاها متقاربة في المعنى، راجعة إلى تقرب الرضا، ورفع الدرجات.

فهذه أوجه ظاهرة في تأويل النزول. وقال بعض أهل التأويل: المعنى ينزل الله؛ نزول ملائكته المقربين، الحافين حول العرش، وتضمن الحديث بتضمنهم من حيث ذكر اسم الله تعالى، وحذف ذكر الملائكة. وسبيل ذلك، كما تقدم في قوله: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» [المائدة: ٣٣]. وقوله: «والذين يؤذون الله ورسوله» [الأحزاب: ٥٧]. وهذا الوجه حسن في التأويل أيضاً.

وذكر بعض المحصلين وجهاً آخر في التأويل فقال: المراد بالنزول انبساط رحمة الله في هذا الوقت المعلوم، وتعظيم أقدار عبيده، وتنفيذ النعمة فيهم، وتخصيصه إياهم بالطاعة. ولو أطلق النزول في حقوقنا، لأنبأ عن التواضع والانسلال عن التكبر والاعتزاز. إذ قد يقول القائل إذا تواضع الملك: قد نزل إلى الدرجة الدنيا. والمراد تواضعه. وإذا ذكر ذلك في صفات الله عز وجل؛ فالمراد بذلك لطافته ورأفته. وهذا واضح أيضاً، جار في مذاهب الكلام.

(١) أخرجه البخاري (توحيد ٥٠/١٥)، ومسلم (ذكر ٢٠، ٢١، ٢٢)، (توبة، ١)، والترمذي (دعوات ١٣١)، وابن ماجه (أدب، ٥٨)، وأحمد بن حنبل ٢-٤١٣، ٤٣٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٢٤، ٤٠-٣، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ٢٧٣، ١٥٣-٥، ١٥٥، ١٦٩، ٣٥١.
(٢) أخرجه ابن ماجه (مساجد، ١٩)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٠٧، ٣٢٨، ٣٤٠، ٤٥٣.

الْجَنَّةُ فِي صُلَى الدِّينِ

تأليف
أبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري
المعروف بالمتولي الشافعي
المتوفى سنة ٤٧٨ هـ

تحقيق الشيخ
عبد الله بن أحمد خيدر
مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

مؤسسة الكتب الثقافية

ومن صار إلى ^(١) الوقف على ^(٢) قوله ﴿والراسخون في العلم﴾ فيكون معناه أن الله تعالى يعلم تأويله والراسخون في العلم أيضاً يعلمون تأويله ^(٣) صار إلى التأويل .

ولكن الطريق في الجواب معهم أن نعارضهم بآيات تخالف ظواهرها ظواهر ^(٤) هذه الآيات وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ ^(٥) إلا هو رابعهم ﴿إلى قوله تعالى :﴾ ^(٦) ﴿هو معهم أين ما كانوا﴾ ^(٧) وقوله تعالى :﴾ ^(٨) ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ ^(٩) وموجب الآيتين حلوله في كل مكان وقال تعالى : ﴿إلا أنه بكل شيء محيط﴾ ^(١٠) ومقتضى ظواهرها أنه محيط بالعالم .

فإن أعرضوا عن تأويل ^(١١) هذه الآيات مع الإيمان بظواهرها والاعتقاد بأنه لا يكون في كل مكان وأنه غير محيط بالعالم أعرضنا نحن عن التأويل وصبرنا إلى الإيمان بما ورد مع الاعتقاد بأن الحق تعالى منزّه عن المكان، وإن صاروا إلى التأويل وقالوا المراد بقوله تعالى : ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ بالعلم لا بالذات ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إلا أنه بكل شيء محيط﴾ يعني بالعلم ضرباً إلى التأويل .

وقلنا المراد بقوله ^(١٢) الرحمن على العرش استوى بالقدرة .

فإن قيل إذا حملتم على القدرة لم يكن لتخصيص العرش فائدة .

قلنا فائدته ^(١٣) أن العرش أعظم المخلوقات فإذا قدر عليه علم من طريق التنبيه أنه قادر على ما هو ^(١٤) دونه على أن مثل هذا يلزمهم فيما قالوا

(١) في ب : زيادة (ان) .

(٢) في ب : عند .

(٣) في ب : نقص (يعلمون تأويله) .

(٤) في ب : نقص (ظواهر) .

(٥) في ب : ثلثة .

(٦) في ت ، ب : وهو ، والصواب (هو) .

(٧) المجادلة : ٧ .

(٨) في ب : نقص (تعالى) .

(٩) الحديد : ٤ .

(١٠) فصلت : ٤٥ .

(١١) في ب : التأويل .

(١٢) في ب : زيادة (تعالى) .

(١٣) في ب : نقص فائدته .

(١٤) في ب : نقص (هو) .

بأن الله تعالى عالم بكل مخلوق غير بني آدم فإذا حملوا على العلم لم يكن لتخصيص بني آدم فائدة.

فإن قالوا خص بني آدم تشريفاً لهم.

قلنا وخص العرش بذلك تشريفاً له.

فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقتضي منازعة سابقة وذلك محال في وصفه، قلنا: والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والانزعاج^(١) وذلك محال في وصفه.

وأما قوله تعالى ﴿ورافعك إليّ^(٢)﴾ معناه إلى كرامتي ورحمتي.

وقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾^(٣) معناه يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذاباً من فوقهم^(٤) وإنما خص جهة فوق لأن الله تعالى أجرى سنته أن ينزل العذاب من فوق.

وأما قوله عليه السلام وينزل الله في^(٥) كل ليلة إلى سماء^(٦) الدنيا والمراد^(٧) به أنه^(٨) يبعث ملكاً إلى سماء^(٩) الدنيا حتى ينادي على ما ورد في الخبر، ثم أضاف نزول الملك إلى نفسه كما يقال نادى الأمير في البلد إذا أمر بالنداء ويقال قتل الأمير فلاناً والقتال غيره، ويضاف إلى الأمير من حيث إنه هو الأمر به.

(١) في ب : واعوجاج .

(٢) في ب : (واني متوفيك ورافعك إلي) .

(٣) النحل : ٥٠ .

(٤) في ب : فوق .

(٥) في ب : نقص (في) .

(٦) في ب : السماء .

(٧) في ب : فالمراد .

(٨) في ب : ان .

(٩) في ب : السماء .

فإن استدلووا بعرف الناس ورفع^(١) أبديهم إلى السماء عند^(٢) الدعاء، فرفع اليد إلى السماء ليس لأن الله تعالى في مكان ولكن لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة^(٣) الصلاة^(٤) في حال القيام، والأرض قبلة في حال الركوع والسجود .

وليعلم^(٥) أن الله تعالى ليس في الكعبة ولا في الأرض وإن استدلووا بقصة المعراج وإن رسول الله ﷺ حمل إلى جهة فوق ويقول تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٦) فليس فيها حجة لأن موسى عليه السلام سمع الكلام على الطور وكان ميعاده الطور ولم يدل على أن الله تعالى على الطور .

وقال في قصة إبراهيم ﴿إِنِّي مَهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٧) وكانت هجرته إلى الشام ولم يكن الباري تعالى في الشام فبطل قولهم .

وأما قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فذلك دنو كرامة لا^(٨) مجاورة كقوله ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٩) .

مسألة

الباري تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء وحقيقة هذه المسألة تبين

- (١) في ب : برفع .
- (٢) في ب : زيادة (السؤال) .
- (٣) في ب : تـ قبل .
- (٤) في ب : في الصلاة .
- (٥) في ب : نعلم .
- (٦) في ب : نقص (تدلى) .
- (٧) النجم : ٨ .
- (٨) العنكبوت : ٢٦ .
- (٩) في ب : زيادة : دنو
- (١٠) العلق : ١٩ .

مَجَرَّةُ الْكَوْكَبِ

تَأْلِيفُ

الْشَّيْخُ الْإِمَامُ مَيُّونُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيُّ
(الشَّهِيرُ بِأَبِي الْمَعِينِ النَّسْفِيِّ)
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ
٥٠٨ هـ

رِثَاةٌ وَقَوْلِيَّةٌ

الدُّكْتُورُ وَائِلُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ رِصَالِحُ الْفُرْفُورِ

مَكْتَبَةُ كِتَابِ الْإِسْلَامِ

المبحث الخامس المجيء والذهاب والنزول

ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالمجيء والذهاب؛ لأن المجيء والذهاب من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين، وهما صفتان منفيتان عن الله تعالى، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف استدل بالمنتقل من مكان إلى مكان أنه ليس برب حيث قال: ﴿ فَلَمَّا أَفْلَقَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾^(١) ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٢). أي أمر ربك.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾^(٣) أي جاء بهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا، يعني قيل: كعب بن الأشرف^(٤).

(١) من سورة الأنعام آية ٧٦.

(٢) من سورة الفجر آية ٢٢.

(٣) من سورة الحشر آية ٢.

(٤) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان شاعر جاهلي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الاسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والشبيب بنسائهم وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه. وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر أعلام الزركلي ٢٢٥/٥.

المبحث الخامس: المجيء والذهاب والنزول ١١١

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ بُنَيْنَهُمْ رَبِّكَ الْقَوَاعِدُ﴾^(١) يعني استهلكهم ، واستأصلهم فلم يبق منهم نافع نار ولا ساكن ديار ، نزلت في غزو نمروذ بن كنعان^(٢) لعنه الله .

ومعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ

(١) من سورة النمل آية ٢٦ .

(٢) النمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله : مجاهد . وقال غيره نمروذ بن فالج بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وقال مجاهد وغيره : كان أحد ملوك الدنيا . وذكروا أن نمروذ هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة ، وكان قد طغا ويدا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا ، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حملة الجهل والضلال وطول الآمال على انكار الصانع ، فحاج الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية ، فلما قال الخليل ربي الذي يحيي ويميت ، قال : أنا أحبي وأمي . قال قتادة والسدي ومحمد بن اسحاق : يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلها فإذا أمر يقتل أحدهما وغفل عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر . وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا معارضة بل هو تشغيب محض .

فإن الخليل عليه السلام استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها ضرورة عدم قيامها بنفسها .

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمروذ وانقطاعه جبهة ﴿قَالَ إِنْهُمْ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَبَّيْ بِالْقَسَمِ مِنَ الشَّرْقِ قَاتٍ بِمَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ سورة البقرة الآية : ٢٥٨ . أي : فإن كنت كما تزعم فافعل هذا ، فإن لم تفعله فلست كما زعمت فانقطع النمروذ وسكت ولهذا قال تعالى : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ .

انظر البداية والنهاية ١ / ١٧٠ وما بعدها .

أَفَسَمَاءُ وَالْمَلَكُوتُ وَقَضَى الْأَمْرَ وَلِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورَ^(١) يعني بعدما أثبتنا من الدلائل أنه لا شبيه له ولا شريك له ولا مجيء له ينظرون إتيانه في ظلل من الغمام ويعتقدون هذا ليؤمنوا به ، وهذا في صفات الله تعالى محال .

ومعنى الخبر: «ينزل الله تعالى كل يوم وليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فيتاب عليه»^(٢) .

قلنا: النزول من الله تعالى الاطلاع والإقبال على عباده ، يعني ينظر إلى عباده بالرحمة . هكذا نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(٣) .

كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ ﴾^(٤) ولم يرد به حقيقة النزول معناه علمناه وفهمناه كذلك ههنا .

فإن قيل: لو قلنا بأن الله تعالى جسم مركب ليس يضرنا .

قلنا: يضركم ؛ لأن الجسم عبارة عن مركب ومؤلف ، فإذا أثبت الأبعاد فقد قلتم بأنه لا يكون إلهاً واحداً .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ كُتُوبُ الْغَيْبِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْغُيُوبِ ۚ إِنَّ إِلَٰهَهُ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^(٥)

(١) من سورة البقرة آية ٢١٠ .

(٢) أحاديث النزول في كل ليلة قد ثبت تواترها . أما حديث ليلة النصف من شعبان فأخرج معناه ابن ماجه في السنن عن علي رضي الله عنه برقم ١٣٨٨ .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) من سورة الحجر آية ٩ .

(٥) سورة البقرة آية ١٦٣ .

إن هذه الآية - على ما أعتقد - غير مناسبة للاستشهاد على نفي الأبعاد ؛ لأن

مكتبة أسالك عبد العزيز
التدريسية الممتعة

الف

عنوان المخطوطة : سنن ١٢٠١ هـ و موطا ١٢٠١ هـ

المؤلف : الشيخ محمد بن عبد الله بن يوسف بن يحيى

مصادر :

أول المخطوطة : يا محمد... يا علي... عمة النبي... يا يزيد

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

نوع الخط : مكان النسخ : تاريخ النسخ : ١١٨٠

تاریخ النسخ : ۱۱۸۰
اسم الناسخ : ابراهيم بن محمد بن محمد

3. 2. 1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 8

عدد الأوراق: ٦٥٩

شُرُوحُ: شَرْحُ الْكَلِمَةِ سَلَاةً لِمَنْ لَا يَعْلَمُهَا
٩٥

وَسَمِعْتُ الْإِسْلَامَ وَالْمُعْتَمِدَ ح

٩٨
٩٩
من نزل العقاب

١٥٤



ما لي بهذا الامري ان يدعون ما لي به قدرة وقال جل وعلا بل يراه مبسوطان قال
ابو الحسن والفا حتى المراء باليد في هذه الآية القدرة واجمعها التفسير على ان المراد
باليدى في قوله تعالى ولم ير وانا خلقناهم بما علمت ايدينا انما القدرة واليدى يتحقق
ما قلناه ان الذي ذكره شيخنا ابو الحسن والفا حتى ليس يوصل الى الواسع بانها ست
صعدين زايدين على ما عداها من الصفات ونحن وان لم يكن في قصتنا العقل صفة
سمعية ولا يرشحن العقل عليها وانما يتوصل اليها سماعاً فيشترط ان يكون السمع
مقطوعاً به وليس مما استدبره الاصحاب قطع النظر المحتملة لا توجب العلم واجمع
المسكون على ما عداها من الصفات فيسقط عنها في لا يوصل اليها بغير العقل وسمع و
ليس في اليدى على ما قلنا شيخنا نقول لا يجوز ان يكون العقل والسمع والسمع
تفريقاً على ما قلناه والظاهر من نظر اليدى من علمها على خارجين فان استعمالها
على ذلك وضع من علمها على القدرة او النعمة او الملاءمة فالنقل بينهما على صفتين
التي هي على ما عداها من الصفات تحكم بحض فاما قولهم لا معنى لمحل
اليدى على القدرة فان في حملها الباطل التخصيص فلفظاً قلنا ان قولنا زاله الظاهر مما
استركنا فاننا ابا الحسن والفا حتى وكل محقق منطوق على ان المخلوق والاختراع
لاستيعاب القدرة فنقول للفا حتى ما معنى قوله تعالى المخلوق يدعى ولا يقع المخلوق الا بالقدرة
عندك فان حوم على طرف من الناء ولم يكن فاما سدد به باولى من يلزم ازاله الظاهر
بوجه آخر بل كان ما بالقدرة انحصار فهو دون ما يحتاج اليه الفا حتى في قطع المخلوق عن
القدرة واجدنا على ان القدرة القدرة مستقلة بكل مقدور وخلق آدم عليه السلام
مقدور كخلق غيره فاما معنى تخصيص آدم المخلوق بالقدرة وما يرضى ما قلناه ان
المحصلين يجمعون على ان المخلوق باليدى لا يثبت لصفة يستحق لاجلها ان يسجد له
كيف ومن مذهبه ان وجوب عبادة الله تعالى لا يدرى الا سماعاً واما قوله السجود
اتباعاً لا من الله تعالى كما قيل بالابليس ما سئل الا سجد اذ امر ان فوجبه التطلع
بان السجود لم يكن للخلق اياه باليدى ولم يستحق السجود لذلك وظاهر الآية
يقتضي اقتضاء السجود لاختصاصه بعبادة الله عليه السلام بما تضمنته الآية فالظاهر
مذكور ان اذا والعقل كما ان الذي يقع المخلوق بالقدرة لا يغيره لا بعد في تكوينه

بعض العباد بالتفحص بالذكركا سرف عباده المخلصين بأصافهم إلى الجنة وإن
كانت الكفرة كالملصين في أنهم عباده إلى دهن سبيل تخصيص البيت
والنار وعباد من المسرفين بأصافهم إلى الجنة تعالى وقد أضاف روح آدم وعيسى
عليهما السلام إلى الجنة والأصاف في شمس إلى أضافه صفة وأضافه ذلك وأضافه
تسوية فقلت بهذه الجملة أن معنى الآية ما منعك أن تسألنا توليت خلقه ابتداء
من غير أصل سبق ولا على مثال تقدم لا يقول تعالى لغيره لم كرسن العلم الذي رثته
بيدي وفي قريب من هذا المعنى قوله تعالى ولم يروا أنا خلقنا لهم ما عملت أيدينا
أنظروا وما يتفأل للاستاد ومن يحكيه في أن العقل يدل على ثبات صدقهم بها الخلق
بالخلق قد وافقتنا على أن الذوات كلها لا تقع إلا بالقدرة ولست من القائلين
بالأحوال فقلت أن السند إلى وجه وتفسير اصطفا به ونقول لها صفة تخص
بالبدن والقدرة كما صار إليه القاضي في أحد قوليه في معنى الكسب على أن ذلك مطر
فإن القاضي يعتقد بآيات ذلك الوجه مضافا إلى القدرة المحاذرة لا سارضة معترضة
البصر في قولهم إن القاضي لا نور إلا في ثبات حال هذا غايها على أنا وإن كنا
للقاضي القول بالحال فقد اتفقنا على أن آدم عليه السلام لم يتميز عن غيره من الناس و
المخلوقين حال هي من أثر البدن والقدرة فهذا وجه القول في الدين وأما الجينات
والوجه فقد اختلف جوابا يخفى إلى المحسن رحمه الله في ذلك فقال مرة بما صفتان
على نحو ما قال في الدين وقال مرة العيان محمولتان على البصر وهذا الظاهر قوله وعليه جل
العين في قوله عز وجل يجزي عينا أي يجزي لسفينة بجوئ منا وقيل بخلقنا وحمل الوجه
على وجود الباري تعالى واستدل على ذلك بقوله تعالى وسبق وجه ربك واليا في بعد فناء
المخلوق هو الله تعالى وقال الأستاذ أبو منصور الأيوبي رحمه الله تعالى وحمل الوجه على الوجود والى
وأكثر أصحنا صاروا إلى حمل العين على البصر وقال بعضهم لم يرد بالوجه كونه التي يرد بها
التعريف إلى الله تعالى فينبغي أن نقول هذا اليوم اسم مضاف لجهة امتثال العلم الله تعالى
قال معنى الآية أن كل ما لم يرد به وطرد بحسب فقلت وقول المحسن في أن الوجه صفة
زائدة على الوجود الظاهر وقوله في العيين أن المراد بذلك البصر الظاهر قال الإمام
ومن سوغ من أصحنا ثبات الصفا بظواهر هذه الآيات الزم سرف كلامه أن يجعل

الاستواء والمجى والنزول واجب من الصفات تنسبها بالظواهر وإن لم يبيدوا بها
 فيها يتفق عليه لم يبيدوا بغير طريق التأويل فيها ذكرناه هذا ما قاله رجلان وقد رأت
 في بعض كتب الاستواء ما يسمي أنه قال وما ثبت من الصفات بالشرع الاستواء
 على العرش والمجى يوم القيمة لنزوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله وجاء ربك
 والملائكة صفوا قال وما ثبت ما لاخبار الصحيحة النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة
 جنة وقوله أنا عند ظن خلقي ظن بما شأه ومن تقرب إلى عليا تقرب إلى ذراعا
 احسرت قال واجمع أهل النقل على قول هذين الخبرين وما هذا وصف كما حجبنا
 للهل ومتبولا في مسائل القطع هذا ما ذكره الاستاذ في هذا الكتاب قال الامام
 وكنا على الاغرب عند الكلام على الظواهر وإذا اعتمدت نسبة ذلك لجل منها في الكتاب و
 السنة قد مرى بالسند راجع إليها المجتمة واصحاب الظواهر قال واجمع المسلمون
 على منع توحيد صفة هذين فيهما مدح وجعل لا يوصلها إلى قطع بعقل أو سمع
 واجمع المحققون على أن الظواهر يجمع تخصيصها والوساكنها لا تقطع به من اخبار
 الاحاد والائمة وما ينزل بما ينقطع به كمن يقطع به قلت ولاطن بالاسناد
 انه اعتقد ان النزول والمجى والانيان من صفات ذات الاله سبحانه فانه سبحانه
 لا يوصف بهذه الاوصاف في ازل ولا يستحيل قيام حادث جزاء كما حكينا عنه انه
 قال وما ثبت من الصفات بالسمع كذا وكذا فيجوز ان اراد بذلك صفات الاله
 ويحتمل ان اراد به الصفات المنعزلة التي لا سال لها كوما ورد به الخبر وقد قاله
 الاستاذ ابو بكر رحمه الله من اصحابنا من قال الاستواء امر خبري لا مجال للعقل فيه وكذلك
 التوفيق والواجبان يتوقف في ذلك الى ان يرد فعنا خبر وهذا مذهب ائمة
 السلف فهدروى عن ائمة رضى الله عنهم انها قالت الاستواء ثابت بلا كيف و
 هذا قول مالك بن انس والاذاعي وغيرهما من ائمة وشيخنا ابو الحسن قولين
 لا صحابنا في الاستواء احدها انه صفات ذات الاله في ائمة صفات الاله لا فعال فخصار
 الاله من صفات الذات اختلصوا فيه فصار اكثر من ان يكون لها الاستواء على العرش
 هو الحاقه عليهم من جهة الغرور والغلبة والانفراد بسعوت الجلال وهذا المعنى ان
 كان مدركا بالعقل ولكن تسمية بالاستواء مستفاد من الخبر قال ابو الحسن

من قال

من قال الاستواء صفة الزمان فإنه يسمى الله تعالى به حين خلق العرش لا يزال الاستواء
يعتصم مضافاً إليه مسوى عليه ولم يكن في الازل غيره تعالى فلم يكن تسميته به
وقال بعض المتأخرين من أصحابنا ويمكن ان يقال لم يزل الاستواء
مطلقاً بمعنى أنه على صفة يصح لها الاستواء على العرش إذا خلقه كما يقول لم يزل الله
تعالى قادراً وان كان يعلق النذرة بالاحداث كحفظ الجحيم وصار آخرون
الى ان الاستواء صفة حادثة بنوفاً في زمانها الى ان يرد خبراً يبينها ونسب الامام
ابو عبد الله جدين محمد بن حنبل رحمه الله عن جماعة من ائمة السلف نحو علي بن عاصم
وسفيان بن عيينة ومحمد بن يوسف القزويني وسفيان بن حرب وكيع بن الجراح و
يزيد بن هرمون وكعي بن سعيد واهد بن خالد الرضائي وعبد الرحمن بن مهدي
والوليد بن سلم الرضائي وكثير بن عثمان وداود بن الجراح واسحق بن راهويه
وعامة اصحاب عبد الله بن المبارك وغيرهم وذكر بيان السمعين ههنا الى ان
قال فان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا لكل ليلة ولا يخلو من العرش ولا يقال
الله تعالى كيف لانه خلق كيف لا يسل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر صواباً
عن هؤلاء المتأخرين عند المنه كل امير المؤمنين جعفر رحمه الله قال سبب النزول
ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا بلا نقلة ومكلاً رواه عن شاذلية وهذا ايضا
قول محمد بن كعب ومحمد بن المنكدر وغيرهم ونحوه قال حماد بن زيد وحماد بن سلمة
وما لك من السن وتابيت البناني والاعمش وابن مهران والبخاري وكلهم كانوا
متفقين على هذا الاصل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك واتفقوا
على نفي النقلة والاحتول عنه الله عز وجل وهذا بقوله في قوله تعالى في رحمة الله فإنه قال
نزل الرب تعالى حتى لا نقلة ولا نزول ولا كيف وهو على العرش وهو مع ذلك
بكل شيء محيط واحتج على ذلك بقول ابراهيم عليه السلام لا احب الاذنين والافواه
هو الانتقال وهو لا يتم اصحاب الحديث وهذا الذي ذكرنا معتقدهم وهو
الجمع بين نفي الكيفية واعقاد التخييل واذننت ذلك من هؤلاء الاثمة
وهو القدوة فلا تكسر بقول المجتمة المحشونة اذا راها محل الاستواء
على الاستمرار وحل النزول على الانتقال وحل اليمين والتقدم على الجارية

وما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال استوى معناه
استقم فقيصيح وهو في ذلك غير موزون برفان الصفاك وعطاء ومجاهد
وغرضهم من اصحابنا بن عباس رضي الله عنهما يبررون عنده خلاف ذلك ولو كان
ذلك صحيحا لما خالفوا ثمة السلف الذين ذكرناهم ومن يجوز الانتقال
والاستمرار على القديم سبحانه فقد اعتدوا التجسيم ومن شك في جواز ذلك عليه
فهو مصمم على اعتقاد التجسيم وكل ذلك عدول عن اعتقاد ائمة السلف وإذا
ارتبط الظاهر فلا بُدَّ في هله على محل قويم في الشرع مستقيم عند الله وقد علمنا
ان الاستواء اذا لم يكن تمكنا بالذات وتخصيصا ببعض الجهات فلا بُدَّ ان يرجع
اما الى معنى العلو والعظمة واما الى معنى القهر واما الى العتد الى فعل من الافعال
ووجه التخصيص بالعرش لانه اعظم المخلوقات وتذبيح ان يكون الاستواء على
العرش عبارة عن انتظام ام السموات والارض وما بينهما فان الملوك في انشا
انما مافي لهم الاستواء على السيرة اذا انتظم لهم امور الملكة فخطبنا على انتظامهم
والذي يريد ذلك انه سبحانه قال في مواضع خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش والذي يعضد ما ذكرناه ان الاستوى على العرش
يدبر الام وهو معنى المحال يعني مدبرا لامور الخلق وهذا اما اختاره الفقهاء
ان اشئ والذي يدل على صحة هذه الشا ولائ الله التي نحن فيها وامثالها
ما يروىهم الا خنصا ص بالجهة قوله تعالى وهو معكم انما كنتم وقوله تعالى انه
بكل شيء محيط وقوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم معنى الذي اشرف على الموت
ولكن لا تبصرون وقوله تعالى ولله المشرق والمغرب فايما تولوا فثم وجه الله
وقوله الخليل عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وقوله
نبيينا صلى الله عليه وسلم اذا كنت في الصلوة فلا تصبغ تجاه القبلة فان الله
قبل وجه المصلي وهذه الايات تدل بظاهرها على ان سبحانه بكل مكان
واذا استحال ذلك واستبان تقاضها وليس بعضها بالمتك بر اولي من
معض سقط الاحتجاج بها فاما السابيل واما المتوقف فاما التحكم
بالاخذ بما يروى بظاهرها التسميم فلا وجه له وقد ذكرنا في مواضع ان

نَاكَيْفُ

وَمَعَهُ

للسيخ مرقعه الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى ٨٨٤ هـ

١- الغنية فہرست شیخ القاضی عیاض ٢- علل الأحادیث فی کتاب الصحیح

تحقیق

المبحث الثالث

مَكْنِيَّة



دار الكتب العلمية
بها محمد علي بيخون سنة 1971
بهدية - 1/1/1

كتاب صلاة المسافرين / باب التَّزْغِيبِ في الدُّعَاءِ والدُّكْرِ في آخر اللَّيْلِ والإجابة فيه ٩٩

٢٤ - باب التَّزْغِيبِ في الدُّعَاءِ والدُّكْرِ في آخر اللَّيْلِ والإجابة فيه

١٦٨ - (٧٥٨) - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ. وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا - حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ - يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

١٦٩ - (...) - وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي - عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ - حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ - يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ».

حديث التنزل

قال الإمام: قوله: «ينزل ربنا كل ليلة»: قيل: معناه: ينزل ملك ربنا، على تقدير حذف مضاف، كما يقال: فعل السلطان كذا، وإن كان لفعل وقع من أتباعه، ويضاف الفعل إليه لما كان عن زمره ويحتمل أن يكون عبر بالنزول عن تقريب الباري تعالى للداعين حينئذ واستجابته لهم، وخاطبهم ﷺ بما جرت به عادتهم ليفهموا عنه وكان المتقرب منا إذا كان في بساط واحد مع من يريد الدنو منه يخبر عنه بأن يقال: جاء وأتى، وإذا كان في علو قيل: نزل وتجلى، وقد ورد في الكتاب والسنة جاء وأتى ونزل وتجلى.

قال القاضي: على هذين الطريقتين اختلف تأويل السلف في الحديث، بل قد جاءت مفسرة فيه، فجاء في حديث الأعرابي مسلم الذي ذكره مسلم عنه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يمهل، حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر...» الحديث رواه الأعمش عن السبيعي عن أبي مسلم بمعناه، وذكر مكان «ينزل»: «ثم يأمر مناديا ينادي يقول: هل

.....

١٠٠ كتاب صلاة المسافرين / باب التَّوْبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ

١٧٠ - (...) - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو الشَّيْبَةَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلَاثُهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى، هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

١٧١ - (...) - حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ: حَدَّثَنَا مُحَاضِرُ أَبُو الْمُؤَرَّخِ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَرْجَانَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ - أَوْ لثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ - فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يَقْرُضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ».

قَالَ مُسْلِمٌ: ابْنُ مَرْجَانَةَ هُوَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَرْجَانَةُ أُمُّهُ.

(...) - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ: «ثُمَّ يَسْطُرُ يَدْيُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: مَنْ يَقْرُضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ».

من داع «الحديث». أخرجه النسائي^(١) فهذا مفسر لأحد التأويلين، وهو من معنى المروي عن مالك في تفسير هذا الحديث: ينزل أمره ورحمته، وعلى التأويل الآخر قول الأوزاعي فيه: يفعل الله ما يشاء. وإليه الإشارة في الحديث نفسه بقوله: «ثم يسطر يديه» عبارة عن نشر رحمته واستعارة بكثرة عطائه وإجابته وإسباغ نعمته، ولا يعترض على هذا بأن أمره ونهيه وأفعاله في كل حين لا يختص بوقت دون وقت فقد يكون المراد بالأمر هنا في هذه القضية يختص لقائم الليل، وكما يختص رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة نصف شعبان - وغيرها من الأوقات بأوامر من أوامره، وقضايا من قضاياها لا تكون في سائر الأوقات، كما جاء في كتاب الله وحديث نبيه ﷺ. وقيل: يكون

(١) أخرجه النسائي في الكبرى [١٢٤/٦] - ح [١٠٣١٦].

كتاب صلاة المسافرين / باب التَّزْيِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالدُّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ ١٠١

١٧٢ - (...) - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ وَأَبُو بَكْرٍ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ - قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ - عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَعْرَابِيِّ مُسْلِمٍ. يَرْوِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ. حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ دَاعٍ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

(...) - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ مَنْصُورٍ أَثَمَ وَأَحْقَرُ.

النزول بمعنى القول كقوله: «سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: [الأنعام: الآية ٩٣]، وبمعنى الإقبال على النبي ﷺ، فيكون النزول إظهار ذلك وتبليغه إلى أهل السماء الدنيا، أو بإقباله على عباده المؤمنين كما في الحديث، وذلك من أفعاله كما تقدم، أو بفعل فعلا يظهر به لطفه لهم، كما جاء في الحديث الآخر: «أن العرش يهتز حينئذ»^(١).

وقوله: «حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول»: في بعض الروايات «وشطره» في بعضها، والصحيح الرواية الأخرى: «حين يبقى ثلث الليل الآخر» قال شيخ أهل الحديث: وهو الذي تظاهر الأخبار بمعناه ولفظه، وقد يحتمل الجمع بين الحديثين أن يكون النزول الذي أراده النبي ﷺ وعناه، والله أعلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول. والقول: «من يدعوني» إلى آخره في الثلث الآخر.

(١) أخرجه البخاري [١٣٨١/٣] - ح [٣٥٩٢]. ومسلم [١٩١٥/٣] - ح [١٢٣] - ح [٢٤٠].

كِتَابُ أُصُولِ الدِّينِ

لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْغَزَنَوِيِّ الْخَنَفِيِّ

(... - ٥٩٣ هـ)

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ

الدُّكْتُورُ عَمْرُو فَيْقُ الدَّاعِقُ

مُدَرِّسُ الْعَقِيدَةِ فِي قِسْمِ أُصُولِ الدِّينِ
بِكُلِّيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالتَّعْرِيبِيَّةِ - دِمَشقَ

(النزول)

[١٧] **فصل:** نزوله إلى السماء الدنيا^(١)، تفضل ورحمة لا نقلة

(١) أحاديث النزول كثيرة منها ما رواه الشيخان وأصحاب السنن واللفظ للبخاري بسنده عن (أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، صحيح الإمام البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ص ١٤، وفي صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء ١٦٨ - ١٧٠ . ومنها: (إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه، من ذا الذي يسترزقني فأرزقه حتى ينفجر الفجر)، أخرجه الإمام أحمد ٣، ٢٥٨، ٥٢١ . (وقد سئل أبو حنيفة - رحمه الله عما ورد في شأن النزول فقال: ينزل بلا كيف . . فيجب أن يجرى على ظاهره، ويفوض أمر علمه إلى قائله، وينزه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثات)، شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص ٦٠ .

لكن عندما استفحل أمر أهل الغواية والزندقة ممن أراد النيل من عقائد الأمة، حين بدأت رؤوس المجسمة بالظهور، متمسكة بظواهر النصوص، وظهر خطرهما على العوام، انبرى أئمة أهل السنة للذب عن دين الله تعالى خاصة بعد أن فسروا النزول =

وحركة^(١) لما ذكرنا.

[١٨] **فصل:** وله يدان هما صفته^(٢) يخلق بهما ما يشاء وهما يد خلق

(١) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ مَلَكٍ يَدْعُونَ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ رَبَّيَّ لَبِجِلِّ عَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقوله: ﴿يَسْأَلُكَ الْمُتَتَّبِعُونَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَفِي رُءُوسِهِمْ مِنْ شَأْنٍ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي ذَرِيَّتُهُ مَبْكُورٌ كُلِّ شَيْءٍ وَابْنُ رَحْمَتِهِ﴾ [يس: ٨٣]. وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْعُو السَّمْعَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

إلى غير ذلك من الآيات، وقد شرح الملا علي القاري قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: (ولكن يده صفته بلا كيف) أي بلا معرفة كيفية كعجزنا عن معرفة كنه بَيِّتِ صفاته فضلاً عن معرفة كنه ذاته. قال فخر الإسلام: إثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة في هذا الوجه فلأنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول فصاروا معطلة. وكذا ذكر شمس الأئمة السرخسي، ثم قال: وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص أي بالآيات القطعية اليقينية، وتوقفوا فيما هو متشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك، كما وصف الله به الراسخين في العلم: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [آل عمران: ٧]. شرح الفقه الأكبر ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) هذه العبارة فيها إثبات للنص دون الخروج عنه ونفي ما قد يتوهم من التشبيه والتجسيم، فإله تبارك وتعالى منزّه عن مشابهة خلقه، وإمعاناً في تنزيهه تعالى فقد ذهب الأشاعرة إلى تأويل اليد وحملها على سبيل المجاز. وذلك لما رأوا الناس يخوضون في الكيفيات، وهذا ما أدى بهم إلى صرف اللفظ عن الظاهر متعاً من الوقوع في التشبيه.

يقول الفخر الرازي: (اعلم أن لفظ اليد حقيقة في هذه الجارحة المخصوصة، إلا أنه يستعمل على سبيل المجاز في أمور غيرها، فالأول: أنه يستعمل لفظ اليد في القدرة. يقال يد السلطان فوق يد الرعية. أي قدرته غالبة، والسبب في حسن هذا =

دَفْعُ شُبُهَةِ النَّشْبِ بِأَكْفِ الثَّنَرِيَّةِ

تَأْلِيفُ الْإِمَامِ الْحَافِظِ
أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُؤَزَّيِّ الْحَسْبِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٧ هـ

حَقَّقَهُ وَنَظَّمَهُ لَهُ
حَسَنُ السَّقَّافِ

دارُ الأمانِ للنَّوْبِيَّةِ

قلت: وقد روى حديث النزول عشرون صحابياً، وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير. فيبقى الناس رَجُلَيْن، أحدهما: المتأول له بمعنى: أنه يُقَرَّبُ رحمته (١٢٩). وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾

الحديد: ٢٥.

ببعض الأوقات والساعات، وصفات الرب - سبحانه - يجب اتصافها بالقدم، وتنزيهها عن الحدوث والتجدد بالزمان - اهـ.

أقول: وأما حديث عثمان بن أبي العاص الذي فيه «فيناد مناد» - الذي صححه المحدث!! المتناقض!! في «صحيحته» برقم (١٠٧٣) وانظر كتابنا (التناقضات) ص (١٨٩) - ففيه أيضاً إثبات أن النازل هو مَلَكٌ من ملائكة الله سبحانه بأمره، ولا يحتمل أن المراد بـ «مناد» هو الله سبحانه البتة، لأن النبي ﷺ لا يقول عن ربه سبحانه «مناد» ولأن الله سبحانه لا يمكن أن ينزل بذاته كما تتخيل المجسمة إلى السماء الدنيا لأن في ذلك حلول الخالق في المخلوق وهو كفر بواح، وقول من قال: «ينزل لا كنزولنا» كلام فلسفي متناقض لا معنى له، لأننا نقول له: إما أن تقول ينزل بذاته فتكون مجسماً حلولياً وإما أن تنزه الله عن ذلك وتقول بما في هذه الأحاديث الصحيحة المفسرة المبينة لمعنى قوله في الحديث الآخر «يُنَزَّلُ الله» مع أن بعض المشايخ ضبط هذه اللفظة بضم الياء فقال: «يُنَزَّلُ» كما أثبتناها في المتن الذي أورده الحافظ ابن الجوزي وكما جاء ذلك في كلام الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/٣٠) فاستيقظ وتنبه.

«ملاحظة»: وهناك ثمت ملاحظة مهمة جداً، وهي أن عقيدة «نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا في شطر الليل الآخر» باطلة بصريح المعقول عند جميع العقول السليمة، وذلك لأن شطر الليل الآخر مستمر على وجه الكرة الأرضية طوال الأربع والعشرين ساعة، وهو منتقل من جزء من الأرض إلى الجزء الذي يليه، فعلى هذا متى يجلس معبود المجسمة على عرشه!!! نسأل الله التوفيق والسلامة في المعتقد والدين.

(١٢٩) وممن أول حديث النزول ينزل رحمته سبحانه الإمام مالك بن أنس - رحمه

وإن كان معدنه بالأرض وقال: «وأنزلنا لكم من الأنعام ثمانية أزواج» الزير: ٦.

ومن لم يعرف كيف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجمل...!

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه (١٣٠). روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم

الله تعالى - وهو من أئمة السلف، فيما رواه عنه الحافظ ابن عبد البر في كتابه «التمهيد» (١٤٣/٧)، وفي «سير أعلام النبلاء» (١٠٥/٨):

«قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى أمره، فأما هو فدائم لا يزول. قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير، فقال: حسن والله، ولم أسمع من مالك».

قلت: وفي هذا أن مالكاً ينزه الله عن الحركة، ولا نقول إنه: ساكن. سبحانه ربي العظيم الأعلى.

(١٣٠) وهم السلف الذين يثبتون النزول ويقولون: «أمرها كما جاءت» مع اعتقادهم تنزيه الله من الحلول في السماء وبذلك يفارقهم المجسمة الذين يقولون ينزل بذاته.

قال الحافظ ابن حبان في صحيحه (١٣٦/٢) عقب روايته لحديث النزول: «ينزل بلا آلة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان» اهـ.

فهذا مذهب السلف وهو خلاف مذهب الحراني بتشديد الراء الذي يثبت الحركة للمولى سبحانه، عما يقول في موافقته (٤/٢) ونسبها للسلف زوراً والله المستعان عليه وعلى مقلديه.

وهذا الحراني ينقل في مواضع أخرى عن السلف!! زوراً أنهم اختلفوا عند نزول معبوده هل يخلو منه العرش أم لا؟! وهذا مع أنه هذيان فارغ يدل على أن الرجل غارق في التجسيم الى شحمتي أذنيه معتقد بحديث «الأصابع الأربعة» فتنهوا حفظكم الله.

قالوا: «أمروا هذه الأحاديث بلا كيف» (١٣١).

قلت: والسوابج على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز الثقل (١٣٢)، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالي، وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل، وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعاً.

فإن قال العامي: فما الذي أراد بالنزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه (١٣٣)، فإن قال: كيف حدث بما لا أفهمه؟ قلنا: قد علمت أن النازل إليك قريب منك، فاقنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام.

(١٣١) ذكر ذلك الترمذي في سننه (٦٩٢/٤) وقال بعده:

«وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تُفسَّر ولا توهَّم ولا يقال كيف...» اهـ.

قلت: والمجسمة توهَّموا لها كيفاً وهو الحركة فاعتقدوا أن الله يتحرك فخالوا السلف ونسبوا عقيدتهم إلى السلف كما فعل الحراني في موافقته (٤/٢) فلا حيَّاهم الله ولا بياهم.

(١٣٢) قال الحافظ البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣):

«والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال...» اهـ.

قلت: ومن أثبت لله تعالى صفة النزول ونفى عنه الحركة مُصِيب بلا شك، لكن ما ذهبنا إليه من أن المراد بذلك نزول المَلَك بأمره كما جاء في الحديث الصحيح هو الأصوب والأحسن والأبعد للسنَّة على أنه يمكن أن يكون قد أراد أولئك الأئمة ما ذهبنا إليه من المعنى، وخصوصاً أن لغة العرب تقتضي أو تقبل هذا كما يقال غزا المَلِكُ البلدة الفلانية وهو لم يبرح قصره فيكون هو الأمر بذلك.

(١٣٣) قلت: الأصوب أن يقال له: معناه يُنزلُ مَلَكاً وتُسرَّد له الرواية الصحيحة في نزول المَلَك حتى لا يبقى في حيرة.

قال ابن حامد (المجسم): هو على العرش بذاته، مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول ويتنقل.

قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): النزول صفة ذاتية، ولا نقول نزوله انتقال.

قلت: وهذه مغالطة. ومنهم من قال: «يتحرك إذا نزل». ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق.

وقد حكوا عن أحمد ذلك وهو كذب عليه (١٣٤). ولو كان النزول صفة لذاته، لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة كذاته.

(١٣٤) وقد كذب الحنابلة على الإمام أحمد كثيراً وافتروا على لسانه أشياء هو بريء منها كما أنهم نسبوا إليه مصنفات لم يصنفها!! فلا يقبل منهم ما ينقلونه عنه وخصوصاً الشيخ الحراني، وقد مر في تعليق سابق أنهم دسوا في «مسنده» أحاديث كما في «لسان الميزان» (٣٢/٤) دار الفكر وهذا الذهبي يثبت ذلك في «سير أعلام النبلاء» (٢٨٦/١١) ويطعن في رسالة الاصطخري التي وضعها الحنابلة ونسبوها للإمام أحمد، ورسالة الاصطخري هذه مذكورة بتمامها في طبقات الحنابلة (٢٤/١) وفيها من العبارات ما يخالف ما عليه السلف.

الْأَسْمَاءُ فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ

تَأَلَّفَ
الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد
ابن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ حَدِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
الشيخ عرفان بن سليم العمشاحسون
الدمشقي

المكتبة العصرية
بيروت

القسم الثاني: في جماع ذكر الأسماء التي تتبع إثبات وحدانيته عز اسمه وتعالى جلّه

قال القاضي: باب فإن قال قائل: فأين هو؟ قيل: له الأين سؤال عن المكان وليس هو ممن يحويه مكان ولا تحيط به أقطار، غير أنا نقول: إنه على عرشه لا على معنى كون الجسم على الجسم بملاصقة وبجاورة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قلت: وهذا قول أبي عمر بن عبد البر وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم من الأندلس فمن تأول على أبي عمر بن عبد البر وفهم من كلامه في كتاب «التمهيد» «والاستذكار» أن: الله تعالى مستقر على عرشه استقرار الجسم على الجسم فقد أخطأ وتقول عليه ما لم يقل وحسبه الله.

قال أبو عمر - رحمه الله - قال نعيم بن حماد: ينزل بذاته وعلى كرسيه وهذا ليس بشيء عند أهل العلم من أهل السنة. لأن هذه كيفية وهم يفرعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً وقد جل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. واحتج بأن الله تعالى فوق عرشه من غير تحديد ولا ممارسة ولا تكيف، بآيات وأخبار احتج بها قبله الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتاب «الموجز» قال بعدها.

وقد زعمت المعتزلة بأن الله في كل شيء، فلزمها قول النصارى وأكثر وأخذ بردها على المعتزلة، ثم ذكر قولين في معنى استوى على العرش. أحدهما: إن قال قائل: فما الاستواء عندكم؟ قلنا: هو فعل كان به مستوياً على عرشه. ثم ذكر قولاً ثانياً. ثم قال أبو الحسن: وجوابي [على] الأول: وهو أن الله سبحانه مستوٍ على عرشه وأنه فوق الأشياء وأنه بائن منه. بمعنى أنه لا تحله ولا يحملها ولا يماسها.

وقال أبو الحسن في آخر الفصل بعد كلام كثير مع المعتزلة وعلى الآيات ومما يدل على أن الله فوق الأشياء، وأنه مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه عن نفسه: أن المسلمين يسيرون بالدعاء إلى السماء وإلى جهة العلو ولا يسيرون إلى جهة الأرض وهذا إجماع منهم. قلت: هذا كلام الشيخ أبي الحسن وهو الذي نقله أبو عمر واحتج به غير واحد من العلماء أن: الله فوق عرشه كما ذكرنا، وإنما جملني على ذكر هذا لأن كثيراً من الأصوليين وجهلة المتفكرين يتأول على أبي عمر أنه حشوي قاعد وبمسم فلأهر. حتى إن بعض أشياخي أخبرني عن لقيه أنه كان يقول ينبغي أن تقطع تلك الأوراق من كتبه أو تطمس.

دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات

إختصار
الأسماء والصفات للبيهقي

تأليف
الشيخ عبدالله بن محمد الأنصاري

تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر
مركز الخدمات والبحوث الثقافية

مؤسسة
الكتب الثقافية

دار الجنان
للطباعة والنشر والتوزيع

ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفاً كساقية الله وبيت الله ومسجد الله وعبر بعضهم عنه بأنه سبحانه ابتداء صورة آدم لا على مثال سيق ثم اخترع من بعده على مثاله فخص بالإضافة .

وعلى هذا يحمل قوله ﷺ : « لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن »^(١) . إن صحت هذه وقيل إن الراوي رواه على ما وقع في قلبه من معناه .

وأما حديث الرؤية في الجنة وقوله ﷺ : « فهل تمارون في القمر ليلة البدر »^(٢) الحديث .

قال الخطابي : تمارون أصله تمارون وأما قوله « فيأتيهم الله » إلى تمام الفصل قال : هذا موضع يحتاج فيه الكلام إلى تأويل وتخريج وليس ذلك من أجل أنا ننكر رؤية الله سبحانه وتعالى بل نثبتها ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب والاختبار من المجيء والإتيان غير أننا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالاً كمجيء الأشخاص فإن ذلك من نعوت الحدث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ويجب أن تعلم أن الرواية التي هي ثواب للأولياء وكرامة لهم في الجنة غير الرؤية المذكورة في مقامهم يوم القيمة فإن هذه في الموقف امتحان من الله تعالى ليقع بها التمييز بين من

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، في لوائح كتاب الإيمان ، وقال أخرجه الدارقطني في الصفات عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ عن أبي اليمان وأخرجه أيضاً في كتاب الأذان ، باب فضل السجود ، عن عطاء بن زيد ، وأخرجه أيضاً في كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم عن الزهري .

وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النساء ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي اليمان .

وأخرجه أيضاً في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي سعيد الخدري .

عبد الله سبحانه وبين من عبد الشمس والقمر والطواغيت فيتبع كل معبوده وليس ننكر أن يكون الامتحان إذ ذاك بعد قائماً وحكمه على الخلق جارياً حتى يفرغ الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من ثواب أو عقاب ثم ينقطع إذا حقت الحقائق ، واستقرت أمور العباد قرارها . ألا ترى قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ يُدْعَوْنَ إِلَى السَّجْدِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾^(١) . فامتنحوا هناك بالسجود .

وفي الحديث : « ان المؤمنين يسجدون وتبقى ظهور المنافقين طبعاً واحداً »^(٢) .

وقال : وتخريج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليتبينوا فتكون معرفتهم له في الآخرة عياناً كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علماً واستدلالاً ويكون طرؤه الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه فيه .

قيل : ويشبه والله أعلم إنما حجبتهم عن تحقيق الرؤية في الكرة الأولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المشافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون ، فلما تميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه أنت ربنا وقد يحتمل أن يكون ذلك قول المنافقين .

ويجب على كل مسلم أن يعلم أن ربنا ليس بلذي صورة ولا هيئة فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية وقد يتأول معناها

(١) القلم : ٤٢ .

(٢) أخرجه الطبري بنحوه في تفسيره ٢٩/٢٤ ، ٢٥ ، سورة القلم : ٤٢ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٥٧ ، سورة القلم : ٤٢ بنحوه .

نَفْسِ الزَّكَاةِ المُسْتَى لَبَابُ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّنْزِيلِ

تأليف
عبد الوكيل بن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي
المشهور بالخازن
المترقي سنة ٧٢٥ هـ

مُطَبَّعٌ وَمُصَحَّحٌ
عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء الأول

المحتوى

سورة الفاتحة - سورة النساء

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فيعاد الصلاة فإذا قلت نعم فقد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح. (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: «قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. وفي لفظ مسلم فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له حتى يتنجز الصبح؟» هذا الحديث من أحاديث الصفات والمعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه، والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات. قال أبو سليمان الخطابي: إنما ينكر هذا الحديث من يقس الأمور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمه فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورايته بعباده وحطه عليهم واستجابته دعاءهم، ومغفرته لهم بفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثلهم دعاءهم، ومغفرته لهم بفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثلهم شيء وهو السميع البصير. وقيل في قوله: والمستغفرين بالأسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ورجلهم أنهم يستغفرون بالأسحار. وروي أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أحجز من الديك فإنه يصوت بالأسحار وأنت تأثم الجنة. قوله عز وجل:

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ أَنفُسُ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُوا الْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ يَنْتَهَبُونَ وَيَكْتُمُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَفَّ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ﴾ قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ يعني بيان نعمة وصفته في كتبهم. وقال الربيع: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفقرة والاختلاف، بينهم، وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى ألقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف، وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الأحكام ﴿بيناً بينهم﴾ أي علماً بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة. وقيل: نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل واختلافهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وما ادعوا فيه من الإلهية إلا من بعد ما جاءهم العلم. يعني بأن الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله نبياً بينهم يعني المعادة والمخالفة. ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ قوله عز وجل:

فَإِنْ جَاءَكَ فَكُلْ مِنْهُنَّ وَأَكْلًا وَبِغَيْرِهِنَّ لَا تَكُلْنَ وَلَا تَكُنَّ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿٢٠﴾

﴿فإن جأوك﴾ أي خاصموك يا محمد في الدين، وتلك أن اليهود والنصارى قالوا: لسا على ما سمعنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإسلام ونحن عليه قامر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يحتج عليهم بأنه اتبع أمر الله الذي هم يقولون به بقوله: ﴿فكل أسلمت وجهي لله﴾ أي انتقدت له بقلبي ولساني وجسمي جوارحي، وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف جوارح الإنسان الظاهرة إذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل: أراد بالوجه العمل أي خلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله ﴿ومن اتبع﴾ يعني ومن أسلم كما

شرف الطفبف علف شكاة المصلف

المسمى
الكشف عن مفائق السنن

تأفف
الإمام شرف اللهف
ألفف بن عفء بن عبء الله الطفف
المفوف سنة ٧٤٣هـ

اعفف به وعلق علفه
أبر عفء الله مفر علفف ركمف

المفء المالف

مفشفوا سف
مفر علفف مففف
لفشرففبب المشفة ولفمفمفمف
ءار الكفبب العلمفة
مفر وسف - مفففان

٤ - كتاب الصلاة / (٣٣) باب التحريض على قيام الليل ————— ١٢٥

١٢٢٣- (٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». متفق عليه.

والاستقبال في «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» وقد اجتمع المضي والاستقبال فيما حكى الكسائي من قول بعض العرب بعد الفطر لاستكمال رمضان «رب [كاسية] صائمة لن يصومه، ورب قائمة لن يقومه» والجواب أن قول سيويه مثول، فإنه يجوز أن يراد منه المعنى واحد بحسب حمل التقيض على التقيض، وذلك شائع في كلامهم، فلا يكونان مترادفين، وما أدراه أن سيويه وغيره ما سلكوا هذا المسلك؛ فإن البلغاء إذا وجدوا إلى المجاز سبيلاً لتضمنه النكتة لا يعدلون عنه إلى الحقيقة؛ لخلوها عنها، وما اختص به هذا الحديث من الفائدة. هي تخطئة برأيهم، وقلة مبالتهن بالأمر الخطير، وعدم اكتراثهن بما هو أولى بهن، كقوله تعالى: «وَحَسْبُونَهُ هَيْثَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» [النور: ١٥].

«شف»: أي كاسية من ألوان الثياب، عارية من أنواع الثواب. وقيل: عارية من شكر المنعم. وقيل: هذا نهي عن لبس ما يشف من الثياب. وقيل: هو نهي عن التبرج. أقول قوله: «رب كاسية» كالبيان لموجب استيقاظ الأزواج للصلاة، أي لا ينبغي لهن أن يتغافلن عن العبادة، ويعتمدن على كونهن أهالي رسول الله ﷺ كاسيات خلعة نسبة أزواجه مشرفات في الدنيا بها، فهن عاريات عنها في الآخرة، فلا ينفعهن ولا ينجيهن من عذاب الله، إذا لم يضمنها مع العمل، كما قال تعالى: «فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ» [المؤمنون: ١٠١] وقال: «وَأَنْذَرْتُكَ الْآخِرِينَ» [الشعراء: ٢١٤]، والحديث الوارد فيه مشهور. وهذا الحديث وإن خص بأزواج رسول الله ﷺ، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالتقدير: قرب نفس أو نسمة كاسية في الدنيا عارية في الآخرة، والله أعلم.

الحديث الخامس عن أبي هريرة قوله: «يُنْزَلُ رَبُّنَا» «قضى»: لما ثبت بالقواطع

١٢٢٣ - أخرجه مالك الموطأ (١٤٩) وأحمد (٢٦٤/٢) (٢٦٧/٢) والدارمي (١٤٨٧) والبخاري (٦٦/٢)، (٨٨/٨) ومسلم (١٧٥/٢) وأبو داود (١٣١٥)، (٤٧٣٣) وابن ماجه (١٣٦٦) والترمذي (٣٤٩٨) والنسائي في اليوم والليلة (٤٨٠) من طرق عن ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً به.

١٢٦ ————— ٤ - كتاب الصلاة / (٣٣) باب التحريض على قيام الليل

وفي رواية لسلم : « ثم يبسط يديه ويقول : من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟ حتى ينفجر الفجر ».

العقلية والنقلية أنه [تبارك و] تعالى منزّه عن الجسمية ، والتشيز ، والحلول ، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، بل المعنى به على ما ذكره أهل الحق دنو رحمته ، ومزيد لطفه على العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن الملوك الكرماء ، والسادة الرحماء ، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ، ملهوفين [فقراء] ^(١) مستضعفين . وقد روي : « يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا » أي ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأبدال ، وعدم المبالاة ، وقهر العداة ، والانتقام من العصاة ، إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرافقة والرحمة ، وقبول المذرة ، والتلطف بالمحتاج ، واستعراض الخواص ، والمساهلة والتخفيف في الأوامر والنواهي ، والإغضاء عما يبدو من المعاصي . انتهى كلامه .

وقوله : « تبارك وتعالى » جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه ، لما أسند ما لا يليق إسناده بالحقيقة إليه ، أمّن بما يدل على التنزيه معترضاً ، كقوله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » [النحل : ٥٧] « نه » : تخصيصها بالليل وبالثالث الأخير منه ، لأنه وقت التهجد ، وغفلات الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله . وعند ذلك تكون النية خالصة ، والرغبة إلى الله تعالى وافرة ، وذلك مظنة القبول والإجابة . و « [من] » ^(٢) يقرض غير عدوم ولا ظلوم » أي من يقرض غنياً لا يعجز عن أداء حقه والوفاء بعهده ، عادلاً لا يظلم المقرض بنقص دينه ، وتأخير الأداء عن وقته . والله تعالى غير عدوم ؛ لاستغناؤه عن غيره ، وافتقار غيره إليه : وغير ظلوم ؛ لأنه يضاعف أضعافاً كثيرة ، قال الله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » [البقرة : ٢٤٥] . وإنما وصف نفسه تعالى بالوصفين المذكورين ههنا ؛ لأنهما المانعان غالباً عن الإقراض . أقول : إخراج العمل مخرج القرض تمثيل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه ، وإيدان بكونه واجب الأداء بسبب الوعد ، كالدين .

(١) ساقط من المطبوع .

(٢) ساقط من المطبوع .

إِنْزَالُ الشُّبُهَاتِ عَنِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَاتِ

تأليف
الأمام الإمام الخافض شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن
ابن اللبان الشافعي
المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

دراسة وتحقيقه وتعليقه
القديس
للدراسات والبحوث

أتمت عبد الجبار الجبيري
بسم الله ومحمطفي الورداني

دار البيان العربي
القاهرة

أن روحه الباصر ما زایل قلبه، لم يحث، ولو حلف حالف أنه ما زایل عينه لم يحث، كذلك لم يلزم من ردّ روحه إليه لرد سلام المسلم عليه، أن لا تكون (باقية)^(١) عند ربها، ولا من بقائها عنده أن تكون مردودة إلى نبيه ﷺ، والله أعلم .

تبصرة:

إذا سمعت: «ينزل ربنا كل ليلة»^(٢) الحديث . فلا يكن حظك منه النزول في عالم الحس، واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره إلى سماء قلبك ألا تراه كيف نيهك على هذا بقوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﷻ» [الطلاق: ١٠] الآية، ثم قال بعده «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﷻ» [الطلاق: ١٢] الآية فبدأ بآيات نزول ذكره قبل آيات نزول أمره تنبيهها على الاهتمام بالأول، وقال في الأول «لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﷻ» [الطلاق: ١١] وقال في الثاني «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﷻ» [الطلاق: ١٢] وذلك يقتضى أن نزوله (بنزول)^(٣) الذكر، يثمر النور والهداية، وأن الله تعالى يتولى إخراج العبد من (ظلمته)^(٤)، ولا يكله إلى نفسه، وأن نزوله بروح الأمر يثمر (الدلالة)^(٥) والتكليف بالعلم، وكم بين من دلّ، وبين من نور، وبين من جهل وأخرج (وبين من جهل)^(٦) وكلف .

تنبيه:

اختصاص نزوله في الثلث الأخير من الليل له ظاهر وباطن:

(١) كذا في ك: وفي الأصل (فيه).

(٢) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب أبواب التهجد- باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ... (١١٤٥) ومسلم كتاب صلاة المسافرين ... باب السّوْغِيْب فِي الدَّعَاءِ وَالذِّكْرِ آخِرَ اللَّيْلِ (٧٥٨).

(٣) في ك: (بروح).

(٤) في ك: (ظلمة).

(٥) في ك: (لولاية).

(٦) من ك: وغير موجودة بالأصل.

الرسائل السبكية

في التردّد على
ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية

للإمام الحجة
تقي الدين علي بن عبد الطيف السبكي الكبير
المنوف سنة ٧٥٦ هـ

عالم الكتب

وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله ﷺ:

(إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً فيقول هل من داع يستجاب له؟، هل من مستغفر يغفر له؟، هل من سائل يعطى؟) - صححه أبو محمد عبد الحق -، وهو يرفع الاشكال ويوضح كل احتمال، وإن الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول الخ... وقد روى ينزل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا إ هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب (التهجد) ما نصه: استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي الى التحيز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال وأفاض في ذكرهما ثم قال وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: (إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول هل من داع فيستجاب له؟ - الحديث-) .

وفي حديث عثمان بن أبي العاص: (ينادي مناد هل من داع يستجاب له؟ - الحديث-)، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الاشكال إ هـ.

زعم أن جمهور الخلف على أن الله تعالى فوق العالم

(١٨)- وفي آخر هذه الصحيفة زعم: (أن جمهور الخلف على أن الله تعالى فوق العالم) وهو كذاب أشر على أي واحد من الخلف سواء فضلاً عن جمهورهم، كما هو كذاب أشر على السلف في كل ما ينسبه اليهم من العقائد.

روض الرياحين في حكايات الصالحين
الملقَّب
نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب المواضر
في حكايات الصالحين والأولياء والأكابِر

تأليف

عفيف الدين ، أبي السعادات
عبد الله بن أسعد البافعي اليمني ثم المكي
(٦٧٨ - ٧٦٨ هـ)

وبذيل صفحاته

عمدة التحقيق ، في بشائر آل الصديق

للشيخ إبراهيم العبدى المالكي

مؤسسة عماد الدين
قبرص

— ٤٩٥ —

هذا التقدير منها إذ استيعابها يطول . وهذه عقيدة الشيخ الجليل الإمام الحفيل شرف العارفين وإمام العرفين ، قدوة المرادين وسرّ عباد الله المرادين ، على المقامات وغالي الكرامات ، الحبيب السبب أبي عبد الله محمد بن أحمد القرشي الهاشمي ، قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه ونفعا والمسلمين ببركته آمين ، وقد أجمع على فضلها كل من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحققين والعلماء الفاضلين الملتزمين ، قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : الحمد لله الذي تقدّست عن سمة الحدوث ذاته . وتزوّدت عن التشبيه بالحدثات صفاته ، ودلت على وجوده محدثاته ، وشهدت بوحدايته آياته ، الأول الذي لا بداية لأزليته ، الآخر الذي لا نهاية لسميته الظاهر الذي لا شك فيه ، الباطن الذي ليس له شبيه ، الحى الذي لا يموت ، ولا يفنى القادر الذي لا يعجز ولا يعيا ، المرید الذي أصله وهدى وأقفر وأغنى ، السميع الذي يسمع السرّ وأخفى ، البصير الذي يدرك ديباب الخلق على الصفا ، العالم الذي لا يفضل ولا ينسى ، المتكلم الذي لا يشبه كلامه كلام موسى ، كلم موسى بكلامه القديم المزه عن التأخير والتقديم ، لا بصوت يقرع ، ولا بتداء يسمع ، ولا بمحروف ترجع ، كل الحروف والأصوات والتداء محدثه بالنهاية والابتداء . جلّ ربنا وعلا ، وتبارك وتعالى ، له العظمة والكبرياء ، وله القدرة والثناء ، وله الأسماء الحسنی والصفات العلى ، حياته ليس لها بداية ، فالبداية بالعدم مسبوبة ، قدرته ليست لها نهاية ، فالنهاية بالتخصيص مخلوقة ، إرادته ليست بمحدثة ، فالحدثة بالأضداد مطروقة ، سمعه ليس بمجارحة ، فالجارحة غروقة ، بصره ليس بمحدقة ، فالحدقة مشقوقة ، علمه ليس بكسبي ، فالكسب بالتأمل والاستدلال يعلم ، ولا بضرورة فالضرورة على الإرادة والإلزام تازم كلامه ، ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ، ولا بمحروف فالحروف تؤخر وتقدم : جلّ ربنا عن التشبيه بخلقه ، وكل خلقه عاجز عن القيام بكنهه حقه ، بل هو القديم الأزلى . والدائم الأبدى ، الذي ليس لذاته قد ، ولا لوجهه خد ، ولا ليد زند ، ولا له قبل ولا بعد ، ليس بجوهر ، فالجوهر بالتحيز معروف ، ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف . ولا بجسم ، فالجسم بالجهة مخفوف ، هو خالق الأجسام والنفوس ، ورازق أهل الجود والبوس . ومقدر السعد والنحوس ، ومدبر الأفلاك والشموس ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، على العرش استوى من غير تمكين ولا جلوس ، لا العرش له من قبل القرار ، ولا التمكن من جهة الاستقرار ، العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار ، العرش تكيّفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول ، والتقديم لا يحول حقق الله الإجابة في الجميع ، فقام بالشكر أتم قيام ، وعمل من العمل الصالح . وبقي شيء آخر ، وهو أن الشكر عرف بأنه صرف البعد جمع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله . قال العلامة شيخنا الشيخ عبد المعطى الضرير المالكي : وحالة الشكر لله يقوم بها العبد حالة الصلاة التامة ، فإنه يصرف فيها جميع حواسه الباطنة والظاهرة إلى طاعة الله تعالى انتهى . فتدخل الأعمال في الشكر والمطغ بالواو يقتضى الغائبة ،

- ٤٩٦ -

ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان . وكان الله ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، ليس له تحت فيقله ، ولا فوق فيظله ، ولا جوانب فتعدله ، ولا أمام فيحدّه ، ولا خلف فيسندّه ، جلّ عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والشبيه والنظير (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . قلت فجميع هذا الذي ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين ، أهل العلوم الدنيوية والأُنوار الساطعة ، ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين ، أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة ، وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يحصى مجدهم ، وقد ذكرت جماعة من الفريق الأول . وأما الفريق الثاني ، فمقاتلهم معروفة لا تجهل ، وهي في منصفاتهم مذكورة ، وفضائلهم في العلم والدين مشهورة ، مثل الإمام أبي الحسن الأشعري ، والإمام أبي إسحق الإسفرائيني ، والإمام أبي بكر الباقلاني ، والإمام أبي بكر ابن فورك ، والإمام أبي المعالي إمام الحرمين ، والإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، والإمام فخر الدين الرازي والإمام ناصر الدين البيضاءوي ، والإمام عز الدين ابن عبد السلام والإمام محيي الدين النووي وغير هؤلاء العشرة الأئمة ممن لا يحصى من علماء الأئمة من السلف والخلف من أهل السنة ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، لكن بعضهم تكلم في تأويل الظواهر ، وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم في التأويل ومن حكى ذلك عنهم الإمام محيي الدين النووي رضى الله تعالى عنه ، مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين ، حكاه في شرح صحيح مسلم في الحديث الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم « يزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » الحديث ، قال محيي الدين المذكور : هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء ، ومختصرهما أن أحدهما : وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثاني : مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو يحكى عن مالك والأوزاعي رضى الله تعالى عنهما أنها تناولت على ما يليق بها بحسب مواضعها ، فعلى هذا تناولوا هذا الحديث تأويلين : أحدهما : تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره معناه : يزل رحمة تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته ، كما يقال فعل السلطان كذا

فقره تعالى (وأن أعمل صالحا ترضاه) بعد قوله (أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت) يفيد أن المراد بالشكر الشكر اللغوي الذي هو الكشف الخاص باللسان ، والعمل مغاير له . قال الناصر الثاني : الشكر هو فعل يني عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الخادم أو غيره . قال في شرح المطالع : تحقيق ما هيئهما ، أعني الحمد والشكر ، أن الحمد ليس عبارة عن قول القائل الحمد لله ، بل هو فعل يني عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً ، وذلك الفعل إما فعل

عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

ومعه

التَّنْقِيحُ لِلْفَافِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ

لبدر الدين محمد بن بهادر الزكيتي المتوفى ٧٩٤ هـ

وَمَعَهُ

جَوَاشِي السَّحَافِظِ ابْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِي

عَلَى تَنْقِيحِ الزَّرْكَشِيِّ

تحقیق

محمد حسنہ محمد حسنہ اسماعیل

المَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ

يحتوي على الكتب التالية :

الجملة - صدقة الخوف - العبد - الوتر - الاستسقاء - الكسوف
سجود القرآن - قصص الصدا - النعم - فضل الصدا في مسيرته والديته
العمل في الصدا - السهو - الجنائز - الزكاة - الحج - العمرة - المصم

فضائل المدينة

مَنْبُتُهُ:

وَصَفَاتُ نَصْرِ صَوْنِ الْعِلْمِ عَنِ فِي أَعْمَالِ الْغُلَامَةِ، وَوَصَفَاتُهَا مَبْدَأُةٌ مَعْنَى كَشْفِ الشَّكْلِ
 مَسْبُوحًا بِالْفَرْقِ (أ)، ثُمَّ مَعْنَى تَعْقِيقِ (الْكَتْمِ) مَعْنَى بِالْفَرْقِ (ك)، وَهَذَا شَيْءٌ لِحَالِ الْبَرِّ مَحْمُودٍ
 مَسْبُوحًا بِالْفَرْقِ (ج)، وَفِي أَهْلِ (الْغُلَامَةِ) تَعْلِيقَاتُهَا مَعْنَى مَسْبُوحَةً بِأَقْرَابِهَا

مَشْهُورَاتُ

محمد ریحانی بیاضی

لِلْمَرْكَبِ الثَّلَاثَةِ وَالْجَمَاعَةِ

دار الكتب العلمية

بکڑوت - بٹکان

١١٠ كتاب التهجد

١٣ - بَابُ إِذَا نَامَ وَلَمْ يَصَلِّ بِأَلِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ

١١٤٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: بِأَلِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ».

١٤ - بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ أَيُّ مَا يَتَأَمُّونَ: ﴿وَيَا لَأَسْمَارٍ هُمْ يَسْتَفْتِرُونَ﴾ [الذاريات ١٧ - ١٨]

١١٤٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ هِشَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(ز) (١١٤٤) فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَجْهَانِ:

أحدهما: أَن يَجْعَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَنْكَحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَطْمِشْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وَقَالَ: ﴿افْتَنَحْنَاهُ فُزْنَهُ﴾ [الكهف: ٥٠] وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَوْلٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا يَظْهَرُ لِلْحَسَنِ.

والثاني: أَنَّهُ مِثْلُ مَضْرُوبٍ، شَبَّهَ هَذَا الْغَافِلَ عَنِ الصَّلَاةِ لِنَتَاقِلِهِ فِي نَوْمِهِ بِمَنْ وَقَعَ الْبَوْلُ فِي أُذُنِهِ فَفَقَلَ سَمْعَهُ وَفَسَدَ حِسَّهُ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمَثْلَ بِمِثْلِ هَذَا، قَالَ الرَّاحِزُ: بَالٌ سُهَيْلٌ فِي الْفَضِيخِ فَفَسَدُ وَطَابَ الْبَاءُ اللَّفَاحُ وَتَرَدُّ وَأَرَادَ: طَلَعَ سُهَيْلٌ، فَجَعَلَ طُلُوعُهُ فِي إِفْسَادِ الْفَضِيخِ بِمَنْزِلَةِ الْبَوْلِ فِيهِ.

(١١٤٥) أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» كَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ [٤٤٦] وَحَدِيثُ النَّزُولِ قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ

(ك) بَابُ/١٣ - ح/١١٤٤ - (بِأَلِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ) لَا إِحَالَةَ فِي ظَاهِرِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ صَرْفُهُ عَنْ سَمَاعِ الصَّارِخِ بِمَا يَقْرَهُ فِي أُذُنِهِ حَتَّى لَا يَنْتَبِهَ، فَكَأَنَّهُ أَلْقَى فِي أُذُنِهِ بَوْلَهُ فَاعْتَلَّ سَمْعُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُنَايَةً عَنْ اسْتِزْالِهِ وَجَعَلَ أُذُنَهُ كَالْهَلِ الَّذِي يَبَالُ فِيهِ.

بَابُ/١٤ - ح/١١٤٥ - (يَنْزِلُ) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَهُوَ نَزُولٌ مَعْنَى مَقْتَضَى رَحْمَتِهِ وَمَزِيدٌ لَطْفِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَفِيهِدَهُ بَعْضُهُمْ بَضْمَ أَوَّلِهِ مِنْ أَنْزَلَ فَيَكُونُ مُتَعَدِّ إِلَى مَفْعُولٍ مَعْدُوفٍ أَوْ

كتاب التهجيد

١١١

١٥ - بَابُ مَنْ تَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَجْبَا آخِرَهُ

وَقَالَ سَلْمَانَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تَمَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ: قُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

١١٤٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وَحَدَّثَنِي سَلْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَتَنَامُ أَوَّلَهُ، وَيَقُومُ آخِرَهُ، فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَتَبَّ، فَإِنْ كَانَ يَوْمَ حَاجَةٍ اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ، وَخَرَجَ.

(ج) مسعود، وأبو الدرداء، وابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن مطعم، ورفاعة الجهنني، والنسائي بن سمعان، وأبو ثعلبة الخشني، وعثمان بن أبي العاص، وعائشة في آخرين، وقد ذكرت فيما تقدم أنه في مثل هذه الأشياء يجب علينا أن نعرف ما يجوز على الله سبحانه وما يستحيل، ومن المستحيل عليه الحركة والنقلة والتغير، فيبقى ما ورد في هذا فالناس فيه قائلان: أحدهما: الساكت عن الكلام فيه، وقد حكى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرؤها بلا كيْفٍ، فهذه كانت طريقة عامة السلف. والثاني: المتأول، فهو يجعلها على ما توجبه سعة اللغة، لعلنا بأن ما يتضمنه النزول من الحركة مستحيل على الله سبحانه وتعالى، وقد قال الإمام أحمد: ﴿وجساء رسل﴾ [المعر: ٢٢] أي: جاء أمره.

(ك) ملكاً. الرواية الأولى عمولة عليها على حذف مضاف كقوله: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] ويؤيده رواية النسائي «أمر الله ملكاً بنادي» قال صاحب المفهم. وبهذا يرتفع الإشكال قلت: لكن روى ابن حبان في صحيحه «ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري».

(حتى لا يبقى لث الليل الآخر) بضم الآخر صفة للث. (فاستجب له) قال أبو البقاء: الجيد نصب هذه الأفعال لأنها جواب الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ [الأعراف: ٥٣] ويجوز على تقدير مبتدأ أي: فأنا أعطي، فأنا آتية.

باب/١٥ - ١١٤٦/ح - (وَب) بفتحات: نهض.

فَرِيدِ السُّمُلِ فِي تَحْقِيقِ رِوَايَاتِ
كِتَابِ التَّوْضِيحِ
فِي
دَارِ الْفَسَاحِ
الْفَيُّومِ

بِإِشْرَافِ
خَالِدِ الْمُحَمَّدِ لِلرَّبِّاطِ
جَمْعَةُ نَفْحِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

التَّحْقِيقُ وَالْمُقَابَلَةُ وَالتَّعْلِيلُ

وَالْإِمَامُ عَبْدُ الْفَتْحِ أَحْمَدُ فُوزِي أِبْرَاهِيمَ
حَسَنُ كَمَالِ تَوْفِيقِ خَالِدِ مُصْطَفَى تَوْفِيقِ
عَصَامُ حَمْدِي مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَدُ فُؤَادِ
رَبِيعُ مُحَمَّدٍ عَوْضُ اللَّهِ أَحْمَدُ دُرُوبِي عَبْدُ الْعَظِيمِ
أَحْمَدُ عَوَيْسُ جَنِيدِ هَانِي مُضَى هَاشِمِ

مُتَرْكِبُ تَابِيسُف - سَامِعُ مَحْمُودِ - سَمِيدُ عَزَّتْ عَيْنُ
عَادِلِ أَحْمَدِ مُحَمَّدٍ طَلْحَةُ صُلَيْمَانِ عِمَادُ طَهْرَانِ
مُتَعَبِّلُ فَتَاةِ عَلِيٍّ مَرْثُومُ الزَّكَاةِ مَطْفُوعُ الْبَلَدِ

فصل :

وقوله في الحديث الثالث: «رجل جرادٍ من ذهب» الرجل: الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة، وهو جمع على لفظ الواحد، ومثله: صوار: لجماعة البقر، وخيط: لجماعة (النعام)^(١)، وعانة: لجماعة الحمير^(٢).
وقوله: «فجعل يحثي» يقال: حثا يحثو ويحثي.

فصل :

وقوله في الرابع: («ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة ») سلف تأويله، ويروى: «في ليلة النصف من شعبان»^(٣).

(١) في الأصل: (الغنم)، والمثبت من (ص١).

(٢) أنظر: «لسان العرب» ١٦٠٠/٣. مادة (جل).

(٣) رواه الترمذي (٧٣٩) كتاب: الصيام، باب: ما جاء في كراهية الصوم في النصف الباقي من شعبان لحال رمضان، من حديث أم المؤمنين عائشة، وكذا رواه ابن ماجه (١٣٨٩) كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وأحمد ٢٣٨/٦، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ (٨٥٠) و٣/٩٧٩ (١٧٠٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» ٢٣٣/٣ (١٥٠٧)، والإسماعيلي في معجم «شيوخه» ٤١٠/١، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ٤٩٦/٣ - ٤٩٧ (٧٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٣/٣٨٥ - ٣٨٦ (٣٨٣٨)، واليعقوبي في «شرح السنة» ١٢٦/٤ (٩٩٢). قال الترمذي عقب هذا الحديث: وسمعتُ محمداً -أي البخاري- يضعف هذا الحديث. اهـ.

ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٦٦/٢ (٩١٥) مضعفاً له، وقال: قال الدراقطني: قد روي من وجوه وإسناده مضطرب غير ثابت اهـ، هذا وحديث عائشة قد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» - (١٧٦١) ثم صحح الحديث في «الصحيح» - (١١٤٤) بمجموع طرقه فقال: حديث صحيح، روي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشد بعضها بعضاً، وهم معاذ بن جبل، وأبو ثعلبة الخشني، وابن عمر، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو بكر الصديق، وعون بن مالك، وعائشة. اهـ.

قال ابن فورك: والمراد: إقباله على أهل الأرض بالرحمة والعطف بالتذكير والتنبيه الذي يلقي في قلوب أهل الخير منهم حتى يزعمهم إلى الجِدِّ في التوبة، ووجدنا الله تعالى خص المستغفرين بالأسحار. والمراد: الإخبار عما يظهر من الطافه، وتأييده لأهل ولايته في مثل هذا الوقت بالزواج التي يقيمها في أنفسهم والمواعظ التي ينهاتهم عنها بقوة الترغيب والترهيب، قال: ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهر بأمره، فيضاف ذلك إلى الوجه الذي يقال: ضرب الأمير اللص، ونادى في البلد.

قال: وروى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن رسول الله ﷺ (لا)^(١) يؤيد هذا التأويل، وهو ضم (ياء)^(٢) «ينزل»، وذكر أنه ضبطه عمن سمعه منه من الثقات الضابطين، وإذا كان ذلك كذلك كان شاهداً لما ذكرناه.

وروي عن الأوزاعي أنه قال لما سئل عن هذا الخبر: يفعل الله ما يشاء، وهذا إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه تعالى. وذكر ابن حبيب كاتب مالك عنه أنه قال: يُنزل أمره في كل سحر، فأما هو فهو دائم لا يزول^(٣). (وقيل عن مالك أيضاً: ينزل بعلمه. فإن قلت: كيف يفارق علمه، قيل: أراد سرعة الإجابة)^(٤)، وقيل: أراد التقرب.

(١) كذا بالأصل، وفي «مشكل ابن فورك»: (بما) وهو أصوب.

(٢) من (ص ١).

(٣) «مشكل الحديث وبيانه» ص ٢١٩-٢٢٠.

(٤) من (ص ١).

فَتْحُ الْبَارِي

يُتَرَجُّ صَحِيحُ الْإِمَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَغْدَادِيُّ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ

أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَجَرٍ

الْعَسْقَلَانِي

(٧٧٣ - ٨٥٢)

الْمَجْرَدُ الثَّالِثُ

وَرَأَى

قِسْمُ الْإِسْلَامِ الْخَطِيرِ

رَقْمُ كُتُبِهِ وَأَبْوَابِهِ وَأَسَانِيدِهِ
وَأَسْتَفْصَى أَطْرَافَهُ، وَتَوَبَّعَ عَلَى أَرْقَامِهَا فِي كُلِّ حَدِيثٍ

مَجْلَدُ الْإِسْلَامِ الْخَطِيرِ

قَامَ بِإِسْرَاجِهِ

وَتَصْحِيحِ تَجَارِيهِ وَتَحْقِيقِهِ
مَجْلَدُ الْإِسْلَامِ الْخَطِيرِ

دار البيان للتراث
القاهرة

الحديث ١١٤٥

٣٧

الجمهور^(١) لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك . وقد اختلف في معنى النزول على أقوال : « فبهم من حملة على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم . ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة ، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإما عناداً ، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال منزهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والشافيين والحنbalين والأوزاعي والليث وغيرهم ، ومنهم من أوله على وجه يلين مستعمل في كلام العرب ، ومنهم من أقرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف ، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجوراً فأول في بعض وفرض في بعض ، وهو منقول عن مالك وجرم به من المتأخرين ابن دقيق العيد ، قال البيهقي : وأسألهما الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصنأ إليه ، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم ، وسيأتي مزيد بسط في ذلك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى . وقال ابن العربي : حكى عن المبتدعة رد هذه الأحاديث ، وعن السلف إمرارها ، وعن قوم تأويلها وبه أقول^(٢) . فأمّا قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته ، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه ، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني ، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك ، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة ، فهي عربية صحيحة . انتهى . والحاصل أنه تأوله بوجهين : إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره ، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه . وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً ، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد بل فقط . وإن الله يهمل حتى يمضي شطر الليل ، ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له « الحديث . وفي حديث عثمان ابن أبي العاص « ينادي مناد هل من داع يستجاب له » الحديث . قال القرطبي : وبهذا يرتفع الإشكال ، ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني « ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : لا يسأل عن عبادي غيري » لأنه ليس في ذلك ما يندفع التأويل المذكور . وقال البيضاوي : ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه مزمع عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه ، فالمراد نور رحمته ، أي يتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة .

(١) مراده بالجمهور جمهور أهل الكلام ، وأما أهل السنة - وهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان - فبهم يثبتون شدة المحبة - وهي جهة العلم - ويؤمنون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تحيل ولا تكيف . والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر ؛ فنبه واحسذر ، والله أسلم .

(٢) هذا خطأ ظاهر مصادم لمصريح التصوص الواردة بإثبات النزول ، وهكذا ما قاله البيهقي بده باطل ، والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وإمرار التصوص كما وردت من إثبات النزول أنه سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تكيف ولا تحيل كسائر صفاته وهذا هو الطريق الأسلم والأقوم والأعلم والأحكم فتمسك به وعض عليه بالتواجزة واحذر ما حاله نقر بالسلاسة والله أعلم

صَحِيحُ مُسَلَّمٍ

لِلإِمَامِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٦١ هـ

مَعَ شَرْحِهِ الْمُسَمَّى
إِكْمَالُ إِكْمَالِ الْمُعَلِّمِ
لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلِيفَةَ الْوَسْطَانِيِّ الْأَيْبِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٢٧ هـ أَوْ ٨٢٨ هـ

وَشَرْحُهُ الْمُسَمَّى
مُكْمَلُ إِكْمَالِ الإِكْمَالِ
لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ السَّنُوسِيِّ الْحَسَنِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٩٥ هـ

صَبَّطَةُ وَصَحَّاحَةُ
مُحَمَّدِ بْنِ هَارِثٍ

الجزء الثالث

يحتوي على الكتب التالية :
صلاة المسافرين وقصرها . الجمعة . صلاة العيدين . صلاة الاستسقاء
الكسوف . الجنائز . الزكاة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب (٢٤)/ حديث (١٦٨) ٨٥

«يُنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَنْفَعُ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ

قوله: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا) قلت: يستحيل أن يرد متواتراً في صفته تبارك وتعالى ما لا يقبل التأويل وإن ورد بطريق الأحاد قطع بكذب ناقله ويصح أن يرد بالطريقين ما يقبله. فالتواتر مثل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ والآحاد مثل هذا الحديث. ومذهب أهل الحق في جميع ذلك أن يصرف اللفظ عن ظاهره المحال، ثم بعد الصرف هل الأولى التأويل أو عدمه فيؤمن باللفظ على ما يليق ويصرف علم حقيقة ذلك إلى الله سبحانه؟ والمعتزلة تنكر أصل ما يرد من ذلك بطريق الأحاد كهذا الحديث، والمجسمة القائلون بالجهة يرون ذلك على ظاهره ويحتجون به لمذهبهم ويشتون الله تعالى جهة فوق وهو فوق العرش ويجعلون النزول حقيقة حتى إن بعض غلاتهم نزل من ادراج كرسية وقال: هكذا تمشي للنزول المذكور في الحديث تعالى الله عن ذلك لاستحالة الحركة في الثقل عليه سبحانه وتعالى. ثم الأظهر من قول أهل الحق التأويل وهو اختيار الإمام قال في الإرشاد: لأن في عدم التأويل استدلال العوام. وقد اختلف في التأويل فقليل: هو على حذف أي ينزل ملك ربنا كما يقال: فعل الأمير وإنما فعل بعض أتباعه. وقيل: هو استعارة لتقريبه للداعين وإجابته سبحانه وتعالى دعاءهم وعبر بذلك قصد إفهام العرب (ج) ويشهد للتأويل الأول أن في بعض طرق الحديث جعل مكان ينزل «يأمر منادياً ينادي يقول هل من داع» الحديث ذكره النسائي (ط) وهذا يرفع الإشكال ويقيه بعض الناس يُنْزِلُ بضم الياء من أنزل أي ينزل ملكاً (ع) ويشهد للثاني ما في الحديث من قوله: «يسط يديه» فإنه استعارة لكثرة إعطائه وإجابة دعائه ولا يعترض هذا بأن يقال فعله تعالى وأمره ونهيه في كل حين فلا يختص بوقت لأنه لا يمتنع أن يختص ذلك ببعض الأوقات. وقد يكون المراد بالأمر ما هنا ما يختص بقاء الليل كما اختص رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة نصف شعبان بأوامر من أوامره وقضايا من قضاياه لا تكون في سائر الأوقات. وقيل: النزول بمعنى القول من قوله تعالى: «سأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» [الأنعام: ٩٣] وبمعنى الإقبال على الشيء. فعلى الأول يكون النزول بمعنى تبليغ ذلك إلى أهل سماء الدنيا، وعلى الثاني يكون كناية عن إقباله على المؤمنين وذلك من أفعاله سبحانه وتعالى كما تقدم أو يفعل فعلاً يظهر به لطفه بهم.

قوله: (وذلك كل ليلة) أي ذلك المذكور يحصل كل ليلة.

قوله: (ينزل ربنا) قيل: على حذف مضاف أي ملك ربنا حاكماً عن مولانا جن وعلا. وقيل: هو استعارة لتقريبه للداعين وإجابته سبحانه وتعالى دعاءهم. ويشهد للأول ما في النسائي جعل مكان ينزل: «يأمر منادياً ينادي» (ط) وهذا يرفع الإشكال، ويقيه بعض الناس ينزل بضم الياء أي ينزل ملكاً (ع) ويشهد للثاني ما في الحديث من قوله: «يسط يديه» فإنه استعارة لكثرة عطائه وإجابة دعائه. قلت: لما ثبت بالقواطع العقلية والنقلية أنه تبارك وتعالى منزّه عن الجسمية والتحيّز

يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ! وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ! وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. (١٦٩ - ...) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي (عَنْ شَهْبَازٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ. حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ. يَقُولُ: أَتَا الْمَلِكُ. أَتَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ! فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْصُرَ الْقَجْرُ».

١٧٠ - (...) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ. أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُؤَيَّرَةِ. حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ. حَدَّثَنَا يَحْيَى. حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلَاثُهُ، يُنْزَلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. يَقُولُ: هَلْ مِنْ

قوله: (حين يبقى ثلث الليل الآخر) وفي الآخر «حتى يمضي ثلث الليل الأول» وفي الآخر «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه» (ع) قال الشيخ: الصحيح الأول وهو الذي تظاهرت الأخبار بمعناه ولفظه وقد يجمع بأن يكون النزول الذي أراده ﷺ أعلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول. قوله: (من يدعوني الخ) في الثلث الآخر.

والحلول امتنع عليه النزول بمعنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه بل المعنى به إذا لم تقدر حذف المضاف على ما ذكره أهل الحق دنو رحمة ومزيد لطفه على العباد وإجابة دعوتهم وقبول معذرتهم كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزلوا يقوم محتاجين ملهولين قراء مستضعفين يلجؤون إليهم بكثرة المسائل ويمدون إلى مألوف كرمهم المميم أكف الضراعة ويتوسلون إليهم بإسبال المدامع وإظهار الفاقة والضعف، فإنهم يستعفونهم بأكثر من مرغوبهم ويتحفونهم بطرائف التحف وربما ولوا بعضهم ولاية يرأس بها ويشرف غاية الشرف. وبالجمله فنزل الملوك الكرماء الرحماء بقرب ساحة الضعفاء المتعرضين لرفدهم كثيراً ما يحصل إليهم من بركته ما يتمتعون إلى منتهى أعمارهم، فلفوائد هذا القرب وعظيم مواهبه وغريب تحفه استعير النزول إلى السماء الدنيا. وقد روي: «يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا» أي ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الألفة من الأرفذال وعدم المبالاة وقهر المداة والانتقام من المعصاة إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرأفة والرحمة وقبول المعذرة والتلطف بالمحتاج واستعراض الحوائج والمساهلة والتخفيف في الأوامر والنواهي والتجاني عما يبدو من المعاصي. وقوله في الحديث تبارك وتعالى أثر قوله: «ينزل ربنا» جملتان معترشتان بين الفعل وتطرّفه لما أسند مالا يلقى إسناده بالحقيقة إليه أتى بما يدل على التنزيه معترضاً كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لَهُ الْبَنَاتِ سَبْحَانَ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

عَمَلَةُ الْقَلْبِ شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تأليف
الأمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

خطه ومصححه
عبد الله محمود محمد عمر

طبعة جديدة مرقمة الكتب والأبواب والأجزاء
حسب رقم المعلم المفسر للكتاب الحديث النبوي الشريف

الجزء الخامس والعشرون

متممات على الكتب السابقة :
التمتيع - أخبار الأعمام - الأدعية - الأسماء بالكتاب والسنة - التوسيع
منطبعة سنة (١٢٢٦) - الجزء الخامس (٧٥٦٣)

مستورات

مخرج أبي بصير
لشركت النشر والتوزيع
دار الكتب العلمية

.....

بالانتقال والحركة وما إلى ذلك من صفات الحوادث. وقد فند الإمام ابن الجوزي مزاعم المجسمة فقال: (وقد روى حديث النزول عشرون صحابياً وقد سبق القول إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والثقل والتغير، فيبقى الناس رجلين: أحدهما: المتأول له بمعنى: أنه يقرب رحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وإن كان معدنه بالأرض. وقال: ﴿وَأَنزَلَ لِكُلِّ فِتْنَةٍ آلَافِينَ مِائَةِ أَرْبَعِينَ﴾ [الزمر: ٦] ومن لم يعرف كيف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجمل؟ والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك: (روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروا هذه الأحاديث بلا كيف، قلت وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز الثقل، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يقتدر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالٍ، وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعاً... فإن قال العامي: فما الذي أراد بالنزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه، فإن قال: كيف حدث بما لا أفهمه؟ قلنا: قد علمت أن النازل إليك قريب منك، فاقنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام... قال ابن حامد: هو على العرش بذاته، مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فينزل وينتقل. قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى. وقال القاضي: النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال.

قلت: وهذا مغالطة، ومنهم من قال: يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق. وقد حكوا عن أحمد ذلك. وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة) الباز الأشهب، لأبي الفرج ابن الجوزي ص ٩٦ - ٩٧.

وقد رد جمهور العلماء على من أثبت النزول بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك لأنه يفضي إلى التحيز، والله تعالى منزّه عن ذلك. ونقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ٣/ ٣٠ - ٣١.

٩٨ - كتاب التوحيد / باب (٣٦) .

٢٣٩

رواية الأكثرين: «يتنزل»، من باب التفعّل، وهذا من باب المتشابهات والأمر فيها قد علم أنه إما التفويض وإما التأويل ينزل ملك الرحمة، ومن القائلين في إثبات هذا وإنه لا يقبل التأويل أبو إسماعيل الهروي، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة في كتابه (الفاروق) مثل حديث عطاء مولى أم صبيبة عن أبي هريرة بلفظ: «إذا ذهب ثلث الليل... فذكر الحديث وزاد: «فلا يزال بها حتى يطلع الفجر» فيقول: هل من داع فيستجاب له؟ أخرجه النسائي وابن خزيمة في (صحيحه) وحديث ابن مسعود وفيه: «فإذا طلع الفجر صعد إلى العرش» أخرجه ابن خزيمة. وأخرجه أبو إسماعيل من طريق أخرى عن ابن مسعود، قال: «جاء رجل من بني سليم إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني... فذكر الحديث»، وفيه: «فإذا انفجر الفجر صعد». ومن حديث عبادة بن الصامت، وفي آخره: «ثم يعلو ربنا على كرسيه»، ومن حديث جابر وفيه: «ثم يعلو ربنا إلى السماء العليا، إلى كرسيه» ومن حديث أبي الخطاب أنه سأل النبي ﷺ عن الوتر، فذكر الحديث وفي آخره: حتى إذا طلع الفجر ارتفع. قال بعضهم: هذه الطرق كلها ضعيفة. قلت: ألم يعلم هو أن الحديث إذا روي من طرق كثيرة ضعيفة تشتد فيشد بعضها بعضاً؟ وليس في هذا الباب. وأمثاله إلا التسليم والتفويض إلى ما أراد الله من ذلك، فإن الأخذ بظواهره يؤدي إلى التجسيم، وتأويله يؤدي إلى التعطيل، والسلامة في السكوت والتفويض.

فيه: التحريض على قيام آخر الليل. قال تعالى: ﴿الْمُتَّقِينَ يَلْتَمِسُونَ﴾ [١٧] ومن جهة العقل أيضاً هو وقت صفاء النفس لخفة المعدة لانهضام الطعام وانحداره عن المعدة وزوال كلال الحواس وضعف القوي وفقدان المشوشات وسكون الأصوات ونحو ذلك.

٧٤٩٥/١٢٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّنَادِ أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[انظر الحديث ٢٣٨ وأطره].

٧٤٩٦/١٢٥ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ: «قَالَ اللَّهُ: اتَّقُوا أَتَقُونَ عَلَيَّكُمْ». [انظر الحديث ٤٦٨ وأطره].

مطابقته للترجمة في قوله: «قال الله» وهو من الأحاديث القدسية.

وأبو اليمان الحكم بن نافع يروي عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد بالزاي والنون عبد الله بن ذكوان عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

قوله: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» من حديث مستقل.

تَنْوِيرُ الْخَوَالِكِ ﴿شرح على موطأ مالك﴾

تأليف

الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي
رحمه الله تعالى

ولتتمام النفع به وضعنا متن الموطأ مفصلاً على الشرح
المذكور مشكولاً شكلاً تاماً بأعلى كل صحيفة مفصلاً بينه
وبين الشرح بجدول

﴿وبليه كتاب اسعاف المبتطأ برجال الموطأ للسيوطي﴾

الجزء الاول

من
ثلاثة أجزاء

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فَالنَّيْ أَلْأَصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا أَقْضَى عَنِّي
الَّذِينَ وَأَغْنَيْنِي مِنَ الْفَقْرِ وَأُمْتِنْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي فِي سَبِيلِكَ وَحَدَّثَنِي
عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهَ اغْنِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ
رِغْزِمِ السُّئْلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ
أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يُسْتَجَابُ
لِلْأَحَدِ كُمْ مَالٌ يَعْجَلُ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ
عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ اللَّهِ الْأَعْرَجِ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ

خَالِدٌ قَالَ الْبَاحِي وَمَعْنَى (فَالْأَصْبَاحِ) أَي خَلَقَهُ وَابْتَدَأَهُ وَأُظْهِرَهُ (وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا)
أَي يَسْكُنُ فِيهِ (وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا) أَي يَحْسِبُ بِهِمَا الْإَيَّامَ وَالشُّهُورَ وَالْأَعْوَامَ قَالَ
وَقَوْلُهُ (فِي سَبِيلِكَ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ جِهَادَ الْعَدُوِّ وَأَنْ يَرِيدَ سَائِرَ أَعْمَالِ الْبَرِّ مِنْ تَبْلِيغِ
الرِّسَالَةِ وَغَيْرِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى (لِيُغْنِيَكَ اللَّهُ عَنْهُ) أَي يَغْنِيهِ دَعَاؤُهُ وَسُؤَالُهُ
مِنْ لَفْظِ الْمَشِيئَةِ (يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ) قَالَ الْبَاحِي يَحْتَمِلُ الْإِخْبَارَ عَنْ وَجُوبِ وَقُوعِ الْجَابَةِ
وَعَنْ جَوَازِ وَقُوعِهَا (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ) قَالَ ابْنُ عَبْدِ
الْبَرِّ مِنْ رِوَاةِ الْمُوطَأِ مَنْ لَا يَذْكُرُ أَبَا سَلَمَةَ قَالَ وَالْحَدِيثُ مَنْقُولٌ مِنْ طَرُقٍ مُتَوَاتِرَةٍ وَوُجُوهٍ
كَثِيرَةٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ) هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ
الَّذِي يَسْكُتُ عَنْ الْحَوْضِ فِيهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَدُ قَائِلِي مَا يُقَالُ فِيهِ مَا فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ أَنَّ اللَّهَ
يَهْلُ حَتَّى يَنْفِي شَطْرَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يَقُولُ هَسَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ فَالْإِرَادَةُ أَذَنْ تَزُولُ
أَمْرُهُ أَوْ الْمَلَكُ بِأَمْرِهِ وَذَكَرَ ابْنُ فُورْكَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَائِخِ مِنْبُطُهُ يَنْزِلُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى حَذْفِ
لِلْفِعْلِ أَيْ يَنْزِلُ مَلَكًا قَالَ الْبَاحِي وَفِي التَّبَيُّهِ سَأَلَتْ مَالِكًا عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِي جَنَازَةِ
سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْعَرْشِ فَقَالَ لَا تَجِدُنِي بِهِ وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَحْدُثَ بِهِ وَهُوَ يَرَى
مَا فِيهِ مِنَ النَّفَرِ وَحَدِيثُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَحَدِيثُ السَّاقِ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ لَا
يَنْبَغِي لِمَنْ يَنْتَقِي اللَّهَ أَنْ يَحْدُثَ مِثْلَ هَذَا قَبْلَ لَهُ وَالْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَحَكَ فَلَمْ
يَرِهِ مِنْ هَذَا وَاجْازَهُ وَكَذَلِكَ حَدِيثُ التَّنْزِيلِ قَالَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا
أَنَّ حَدِيثَ التَّنْزِيلِ وَالضَّحْكُ أَصَادِيثُ صَحَّاحٌ لَمْ يَطْعَنَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا وَحَدِيثُ اهْتِرَازِ الْعَرْشِ
وَالصُّورَةِ وَالسَّاقِ لَيْسَتْ أَسَانِيدُهَا تُبْلَغُ فِي الصَّحَّةِ دَرَجَةَ حَدِيثِ التَّنْزِيلِ وَالثَّانِي أَنَّ التَّأْوِيلَ
فِي حَدِيثِ التَّنْزِيلِ أَقْرَبُ وَأَبْنُ وَالْمَذْهَبُ بِسُوءِ التَّأْوِيلِ فِيهَا أَيْدٍ أَتَتْهُ

الدِّيْبَاجُ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ

لِلْحَافِظِ جَلَّالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ
وُلِدَ سَنَةَ ٨٤٩ هـ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٩١١ هـ

وَجَاحِشِيَّتِهِ

الْحَلُّ الْمَفْهُمِ لِصَحِيحِ مُسْلِمٍ

مِنْ إِفَادَاتِ الْمُحَدِّثِ الْكَبِيرِ رَشِيدِ أَحْمَدَ الْكُنُكُوتِيِّ
وُلِدَ سَنَةَ ١٢٤٤ هـ وَتُوفِيَ سَنَةَ ١٣٢٣ هـ

وَتَعْلِيْقِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدَ زَكَرِيَّا الْكَانْدَهْلَوِيِّ
وُلِدَ سَنَةَ ١٣١٥ هـ وَتُوفِيَ سَنَةَ ١٤٠٢ هـ

اعْتَنَى بِاللَّدِّيْبِاجِ : مُحَمَّدٌ عَدْنَانُ دَرَوِيْش
وَأَعْتَنَى بِالْفَتْحِ الْمَقْرَمِ : هَيْثَمُ تَيْيَمٌ

المجلد الثاني



٢٨٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها

[١٧٦٨] ١٦٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَغَثٍ. حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الرُّبَيْعِ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَغْنَاهُ إِيَّاهُ».

٢٤ - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه

[١٧٦٩] ١٦٨ - (٧٥٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ. وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ!؟

١٦٨ - (٧٥٨) يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ: قَالَ النَّوَوِيُّ^(١): هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَفِيهَا مَذْهَبَانِ لِلْعُلَمَاءِ:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقا غير مراد ولا تكلم في تأويلها، مع اعتقادنا تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

الثاني: مذهب المتكلمين وبعض السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتناول على ما يليق بها بحسب موطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلان: أحدهما: تأويل مالك وغيره، ومعناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته.

والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ. حين يبقى ثلث الليل الآخر: في الرواية بعدها: حين يمضي ثلث الأول وأشار القاضي عياض إلى تضعيفها وترجيح الأولى، قال: ويحتمل أن يكون النزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول، وقوله من يدعوني بعد الثلث الآخر.

[١٧٦٨] تفرد به مسلم. انظر «التحفة» برقم (٢٩٥١).

[١٧٦٩] أخرجه البخاري في «صحيحه» في التوحيد، باب: قول الله تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» برقم (٧٤٩٤) وفي الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل برقم (٦٣٢١) وفي: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل برقم (١١٤٥). وأبو داود في «سننه» في الصلاة، باب: أي الليل أفضل برقم (١٣١٥) وفي السنة، باب: في الرد على الجهمية برقم (٤٧٣٣). والترمذي في «جامعه» في الدعوات باب: (٧٩) برقم (٣٤٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح. انظر «التحفة» برقم (١٣٤٦٣).

(١) النووي ٣٥/٦.

إِنْشَادُ السَّنَائِدِ رِشْرُوحٌ مَحْصِيحٌ الْبَحَايِرِ

تَأَلَّفَ

الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني

المؤوف سنة ٩٢٣ هـ .

صَبَّطَ وَصَحَّحَ

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الخامس عشر

يحتوي على الكتب التالية :

الفتن - الأحكام - التمني - أخبار الأحاد
الاعتصام بالكتاب والسنة - التوحيد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

والحديث سبق في الحج بمباحته وما فيه ومطابقته لما ترجم به في قوله يقول الله.

٧٤٩٣ - **هَقَفْنَا** عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا الْيُوبُ يُنْقَسِلُ عَرِيئًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَخْشِي فِي قُرْبِهِ فَتَادَاهُ رَبُّهُ: يَا الْيُوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا يَنْصِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن محمد) المسندي قال: (حدثنا عبد الرزاق) بن همام بن نافع الحافظ أبو بكر الصنعاني قال: (أخبرنا معمر) بفتح الميم وسكون العين المهملة ابن راشد (عن همام) بفتح الهاء والميم المشددة ابن منبه (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي ﷺ) أنه (قال):

(بينما) بالميم (اليوب) عليه السلام (يفتسل) حال كونه (عريئًا) خَرَّ عليه وجعل جراد) بكسر الراء وسكون الجيم جماعة كثيرة منه (من ذهب) وسمي جرادًا لأنه يجرد الأرض فيأكل ما عليها (فجعل) أيوب (يخشي) بفتح أوله وسكون الحاء المهملة بعدها مثلاً يأخذ بيده ويرمي (في ثوبه فتاداه) فقال له (ربه) تعالى (يا أيوب) كلمه كموسى أو بواسطة الملك (ألم أكن أغنيتك) بفتح الهمة وبعد التنحية الساكنة فوقية ولأبي ذر عن الكشميهني أغنك بضم الهمة وبعد المعجمة الساكنة نون مكسورة فكاف (هما ترى) من جراد الذهب (قال: بلى يا رب) أغنييتي (ولكن لا غنى لي عن بركتك) أي عن خيرك وغنى بكسر الغين المعجمة مقصور من غير تنوين ولا نافية للجنس.

وسبق الحديث في باب من اغتسل عريئًا من الطهارة.

٧٤٩٤ - **هَقَفْنَا** إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْتَزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَنْتَقِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وبه قال: (حدثنا إسماعيل) بن أبي أويس قال: (حدثني) بالإنفراد (مالك) هو ابن أنس إمام دار الهجرة الأصمعي (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (عن أبي عبد الله الأعرج) بالأخرى بالغين المعجمة المفتوحة والراء المشددة واسمه سلمان الجهني المدني (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال):

(ينتزل) بتحتية ففوقية وتشديد الزاي في باب الفعل ولأبي ذر عن الكشميهني ينزل (ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) أي ينزل ملك بأمره وتأوله ابن حزم بأنه فعل يفعله الله في سماء الدنيا كالفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان الإجابة وهذا مهود في اللغة يقال فلان نزل لي عن حقه بمعنى وهبه لي، لكن في حديث أبي

القَوَاعِدُ الْكُشْفِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ

تأليفه

الشيخ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ أَحْمَدَ الشَّعْرَانِيَّ

١٨٩٨ هـ - ١٩٧٣ هـ

تقديمه ورعاية

الدكتور مهدي أفسر عرار

أستاذ اللسانيات والعلمون اللغوية
جامعة بيروت



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

[أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي آيَةِ الاسْتِواءِ وَحَدِيثِ النَّزُولِ]

١٣٩

إِنَّ الْمُلُوكَ، وَإِنْ جَلَسَتْ مَرَاتِبُهَا لَهَا مَعَ السُّوقَةِ الْأَسْرَارُ وَالسُّمَرُ^(١)

[أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي آيَةِ الاسْتِواءِ وَحَدِيثِ النَّزُولِ]

وسمعتُ سيدي عليًّا المرصفي -رحمه الله تعالى- يقولُ كثيرًا: إنما أخبر^(٢) الحقُّ -تعالى- أنه ينزلُ كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا، وإنَّ كانَ النَّزُولُ على وجهِ النَّقْلِ مُحالًا في حَقِّه -تعالى- لِيُعلمنَا التَّواضِعَ مع العبادِ، ولا تُرى نفوسُنَا على أحدٍ منهم. وسمعتُ سيدي عليًّا الخواصَّ -رحمه الله-^(٣) يقولُ: فَوْقِيَّةُ الْحَقِّ -تعالى- حيثُما وَرَدَتْ الْمَرَادُ بِهَا فَوْقِيَّةُ الْمَكَانَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ^(٤) لا فَوْقِيَّةُ الْمَكَانِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وإذا كانتِ فَوْقِيَّةُ مَكَانَةٍ وَرُبُوبِيَّةٍ، فلا فَرْقَ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالسُّفُلِ، فَمَنْ قَصَدَهُ فِي سُجُودِهِ، كَانَ قاصِدًا حِجَّةَ الْفَوْقِيَّةِ، كَمَا قالُوا في غُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ إِنْ نَزَلُوا مِنْ السَّمَاءِ بِالوَحْيِ عُرُوجَ لِحَضْرَةِ الْحَقِّ، وَهنا أسرارٌ يَعْرِفُهَا الْعَارِفُونَ لا تُسَطَّرُ في كتاب، قال^(٥): فَكَمَا لا يَلْزَمُ مِنْ إثباتِ الْفَوْقِيَّةِ لِلْحَقِّ -جلَّ وعلا- إثباتُ الْجِهَةِ، فكذلك لا يَلْزَمُ مِنْ استوائِهِ على الْعَرْشِ إثباتُ الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ، وقد انعقدَ الإجماعُ على ذلك.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ -تعالى- فِي الْمَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ

(١) "ب"، "ك"، "ز": "الأسرار"، وهو تصحيف، والشعر من البسيط للشيخ عبي الدين قاله في مستفتح الباب الثامن عشر المعقود له العنوان "في معرفة علم المتجدين، وما يظهر منه من العلوم في الوجود"، وروايته في طبعة دار الكتب العلمية والمطبعة العامة للكتاب:

إِنَّ الْمُلُوكَ وَإِنْ جَلَسَتْ مَنَاصِبُهَا، وَقِيلَ:

علم التهجد علم الغيب ليس له في منزل العين إحساس ولا نظر

إِنَّ النَّزَلَ يُعْطِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنِهِ سَوْرًا تَعْلُو بِهِ حُجُور

انظر: الفتوحات المكية، (طبعة دار الكتب العلمية)، ٢٥٠/١، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب، السفر الثالث، ٧٠.

(٢) "د"، "ك"، "ز": "أخبرنا".

(٣) "ك"، "ب"، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٤) "د"، "ز": "الربوبية".

(٥) نسب الشعراني هذا القول إلى شيوخه علي الخواص، وهو للشيخ عبي الدين في باب الأسرار من الفتوحات المكية، ١٨٢/٨.

نَفْسِيَّ الْخَطِيبِ الشَّرِيفِيِّ

المُسَمَّى
السِّرَاجِ الْمُنِيرِ
فِي الْأَعْيَانِ
عَلَى مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَعَانِي كَلَامِ رَبِّنَا الْحَكِيمِ الْجَمِيلِ

تَأليفه
الإمام الشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشَّرِيفِيُّ المصْرِيُّ
المتوفى بموسم ٩٧٧ هـ

عزَّاهُ آيَاتُهُ وَأَمَامِيَّتُهُ وَدَقِّقُ حُجَّتَانِيَّتِهِ
إِبْرَاهِيمُ شَمْسُ الدِّينِ

مُجْتَمِعُ الرَّدَابِ

المُعْتَمَدُ :

مِنْهُ أَوَّلُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ - إِلَى آخِرِ سُورَةِ النَّاسِ

مَشْهُورَاتُ
مَجْمُوعَةِ كِتَابَاتِ بَيْتِ
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

٢٢٤

سورة الحديد

هما اللذان تتعدى فيهما إلى ما لا يجوز **«والله»** أي: الذي له صفات الكمال **«لا يحب»** أي: لا يفعل فعل المحب بأن يكرم **«كل مختال»** أي: متكبر نظراً إلى ما في يده من الدنيا **«فخور»** أي: به على الناس قال القشيري: الاختيال من بقايا النفس ورويتها، والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر.

وقوله تعالى: **«الذين يبخلون»** يدل من كل مختال فخور فإن المختال بالمال يقطن به غالباً **«ويأمرون الناس»** أي: كل من يعرفونه **«بالبخل»** إرادة أن يكونوا لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى: **«ومن يتول»** أي: يكلف نفسه الإعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير والإقبال على الله تعالى: **«فإن الله»** الذي له جميع صفات الكمال **«هو»** أي: وحده **«الغني الحميد»** لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني أي: عن ماله وعن إنفاقه وكل شيء مفتقر إليه وهو مستحق للحمد سواء أحمده الحامدون أم لا **«لقد أرسلنا»** أي: بما لنا من العظمة **«رسلنا»** أي: الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة إلى الأنبياء على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ومن الأنبياء إلى الأمم **«بالبينات»** أي: الحجج القاطعة **«وأنزلنا»** أي: بعظمتنا التي لا شيء أعلى منها **«معهم الكتاب»** أي: الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين **«والميزان»** أي: العدل، وقيل: الآلة روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به **«ليقوم الناس بالقسط»** أي: ليتعاملوا بينهم بالعدل **«وأنزلنا»** أي: خلقنا خلقاً عظيماً بما لنا من القوة **«الحديد»** أي: المعروف على وجه من القوة والصلابة واللين فلذلك سمي إيجاده إنزالاً؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد وروي من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميعة والمطرقة والإبرة، وحكاه القشيري قال: والميعة ما يحدد به يقال: وقعت الحديدية أقمها أي: حددتها وفي الصحاح: الميعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه، وخشبة القصار التي يذق عليها والمطرقة والمسن الطويل، وروي ومعه المبرد والمسحاة، وعن عمر أن النبي ﷺ قال: **«إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح»**^(١). وروي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«أنزل ثلاثة أشياء مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من أس طولها عشرة أذرع مع طول موسى»**^(٢)، وعن الحسن **«وأنزلنا الحديد»** خلقناه كقوله تعالى: **«وأنزلنا»** أي: قوة وشدة **«شديد»** أي: قوة شديدة فمته جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب **«ومنافع للناس»** بما يعمل منه من مرافقهم لتقوم أحوالهم بذلك قال البيضاوي: ما من صنعة إلا والحديد آلتها، وقال مجاهد: يعني جنة، وقيل: انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفأس ونحو ذلك، وروي أن الحديد أنزل في يوم الثلاثاء فيه بأس شديد، أي مهراق الدماء ولذلك نهى عن القصد والحجامة في يوم الثلاثاء لأنه يوم جرى فيه الدم؛ وروي أنه ﷺ قال: **«إن في يوم الثلاثاء»**

(١) أخرجه المصنف الهندي في كنز العمال ٤٦٥١، والذهبي في الطب النبوي ٩٠، والقرطبي في تفسيره ١٧/٢٦٠، والمجولني في كشف الخفاء ٥٦٦/١، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٧١٥.

(٢) انظر القرطبي في تفسيره ١٧/٢٦٠.

مِنْح
الرُّوضِ الْأَزْهَرِ
فِي شَرْحِ
الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ عَلِيِّ بْنِ سُلْطَانٍ مُحَمَّدٍ الْقَارِي
الْمَقَرُونِيِّ سَنَةِ (١٠١٤ هـ)

وَمَقَّعَهُ

التَّجَلُّيْتُ الْمَلِكِيَّةُ
عَلَى شَرْحِ الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ

تَأْلِيفَ

السَّيِّخِ وَهْبِيِّ سُلَيْمَانَ عَاوِجِي

بِإِذْنِ الشَّرَفِ الْأَسْلَامِيِّ

بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، كما رواه مسلم، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «الحجر الأسود»^(١) يمين الله في أرضه يصافح بها عباده». وروى ابن ماجه نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولفظه: «من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن».

وقد سُئِلَ أبو حنيفة رحمه الله عما ورد: من أنه سبحانه «ينزل من السماء»، فقال: ينزل بلا كيف؛ وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله خلق آدم على صورته»^(٢)، وفي رواية: «على صورة الرحمن» وأمثاله، فيجب أن يجرى على ظاهره، ويفوّض أمر علمه إلى قائله، وينزه الباري عن الجارحة ومثابهة صفات المحدثات.

وقال الإمام الأعظم رحمه الله في كتابه «الوصية»: نَقَرَّ بَأَنَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَاسْتِقْرَارٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْحَافِظُ لِلْعَرْشِ وَغَيْرِ الْعَرْشِ، فَلَوْ كَانَ مُحْتَاجاً لَمَا قَدَّرَ عَلَى إِيجَادِ الْعَالَمِ وَتَدْبِيرِهِ كَالْمَخْلُوقِ، وَلَوْ صَارَ مُحْتَاجاً إِلَى الْجُلُوسِ وَالْقَرَارِ فَقَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ أَيْنَ

(١) (الحجر الأسود)، رواه الطبراني مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس، وعكرمة مولى ابن عباس. رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «الحجر الأسود من الجنة وكان أكثر بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا المشركين»، قال المحدث الشيخ شعيب: (الحجر الأسود من الجنة) صحيح بشواهده، أما بقية الحديث فليس له شاهد يقويه. مسند الإمام أحمد، تعليق الشيخ شعيب ١٤/٥.

(٢) (إن الله خلق آدم على صورته...)، رواه البخاري، استثنان، أنبياء ١، ومسلم، بر ١١٥، جنة ٣٥.

مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ لِلْعَلَامَةِ
الْفَاضِلِ وَالْفَهَامَةِ الْكَامِلِ الْمَرْحُومِ
بِرَحْمَةِ رَبِّهِ الْبَارِي عَلَى بَنِي سُلَاطَانَ
مُحَمَّدٍ الْقَارِي نَفَعَنَا
اللَّهُ بِهِ وَالْمُسْلِمِينَ
أَمِينَ

« (الجزء الثاني) »

« (وَمِنْ أَمْتِهِ مَشْكَاةُ الْمَصَابِيحِ الْمَذْكُورَةُ لِلْعَلَامَةِ الْخَطِيبِ) »
« (التَّبْرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ آمِينَ) »

كبرهم وقالوا كل ما كان عليه السلف العالِم من صفاته العظيمة وهم الباعين في ذمتهم تخفى في
 تأويل من ذلك وقد علمت ان ما كوا لا وراعي وهذا من كلام السلف اولا الحديث تأويله لا يتعبد
 وكذلك صفات النور اولا الاستواء على العرش بقدر امره ونهيه ثم استوى الى السماء أي قصد إليها
 ومنهم الامام جعفر الصادق عليه السلام قال جمعهم ومن الخلق ان يعتقدوا بالجمعة كافر كما مر في حجة العراق وقال
 له قول لا يحنقه وما لك والشافي والاشعري والباقر والشافعي وقد اتفقوا على تأويله وهو
 معكم من ما كنتم ما كنتم من تنوي ثلاثة اهورا بهم الآية فأما قوله انهم وجه الله وتعين أقرب اليه
 من جبل اللؤلؤ وقيل المؤمنين بن صديق من اصابع الرحمن والجر الاسودين الله في الارض وهذا الانفاق
 بين كنههم ما كنتم من تنوي ثلاثة اهورا بهم الآية فلا يخلو انما كانت الجوهرة على أن الوقت على
 الا الله وعدا ووقعه في الارض وهو الظاهر لان المراد انما هو بل معناه الذي اراده تعالى وهو في الحقيقة لا يله
 الا الله جل جلاله ولا له غير وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدرا حد أن يقول ان هذا التأويل
 هو ما الله عز وجل في التبعي الخلاف لفظي ولهذا التنازع من من معني المتأخرين عدم تعيين التأويل
 في شيء من الاشياء التي تليق بالحق والحق بكونه معين المراد انما في قوله تعالى وهذا قوله ما بين المؤمنين وتلفه
 بين المؤمنين ولست ارا من ذلك في العبد فوسعا آخر فقال ان كان التأويل من الجاهل الباطن فالحق ما هو
 من غير وقت اومن الجاهل الباطن فالحق تركه وان استوى الامران فلا اختلاف في جوارحه وعدم
 مسئلة فتعبد اجتهادية والامر في الباطن بالنسبة للقرينة قلت التوقف في العبد ثم رجح أحد
 الجانبين مع ان التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الامام الاطفاق له أعيد وقال القاضي المراد بوجه دفر
 وجهه ومنه ما علمته على العباد واجبة فيهم وقوله من ذمتهم كما هو مذهب النجاشي والاعتماد والسادات
 اذ قالوا بشر باقوم ما هو في ذمتهم من ذمتهم وقوله من ذمتهم كما هو مذهب النجاشي والاعتماد والسادات
 يقتل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الانتم من الارزاق وعدم البالات في العبد والانتقام من
 العبد الى مقتضى صفات الجلال المقتضية للرأفة والرحمة وقبول المعذرة والتعطف بالحق واستعراض
 الخواص والمساهلة والتعطف في الاوامر والنواهي والاضفاء عباد من المعاصي ولهذا قيل هذا اجل
 سوى لا نزول حقيقي فأرغم الاشكال وأنه أعلم بالحال (حين يبق ثلث الليل) بضم لام ثلث وسكونه
 (الآخر) بالرفع صفة ثلث قال ابن الجوزي في هذا الحديث من شأنه وذل من شأنه يقتل كل ليلة من صفات
 الجلال الى صفات الرحمة والجلال والجلال لا يبر بالانتم الى الارض فيه أهل السكك انهم النقص والزوال وكأنه
 أوداه الفهم والتجلى بصفة الجلال قال في النهاية في تفسيره انما السكك انهم النقص والزوال وكأنه
 عين التعرض لصفاته رحمة الله تعالى وعنده ذلك تكون النية سادة والرغبة واخر قوله ان الجلال قبل المراد
 نزول الرحمة الى جوارحه في الاعطاف سبحانه ونسبة وقربه من العباد يقتضي العطف الى ربيبة أو قوله ثلث
 نحو ان لا يكون فيقول حكاية كلام الر بفي ذلك الوقت بالله تعالى وهذا الرواية لا تتناقض ما وحيث يضي
 ثلث الليل الا في قوله وراه اذا معنى شرط ال بفي أو انما انه لا يتمثل أن يكون النزول في بعض ال الى هكذا
 وفي بعضها هكذا كذا في ابن سنان وقال ابن جرير في تفسيره انما السكك انهم النقص والزوال وكأنه
 والثلث الآخر واخص ترادة الفضل على الاستغفار بالاحسان ولا تباين المحصين على ورائته اه
 والظاهر ان هذا نزول على فلا يختص زمان دون زمان وانما ذكر هذه الاوقات بحسب أزمنة الغائبين عن
 قوم القصة ويجهل أن طلاق الليل على النزول الا اله من تمام الجلال في مرتبة الجلال في اعيانه الذين هم
 أولياء السكك الى منة الوصال على غلة الخلق عن تلك الحال (يقول من دعوى فاصحبه) بالذنب
 على تقدير ان في جواب الاستفهام ويراد على الاستئناف وكذا قوله فاصحبه فاصحبه فاصحبه (من
 يسألني فاصحبه) بفتح الباء وضمة الهاء على الاكثر ويسكون الباء وتسمى الهاء (من يستعرف فاصحبه)

و

حين يبق ثلث الليل الآخر
 يقول من دعوى فاصحبه
 له من يسألني فاصحبه من
 يستعرف فاصحبه

إِشَارَاتُ الْمَرَامِ
مِنْ
عِبَرَاتِ الْأَمَامِ
أَبِي حَنِيفَةَ النَّعْمَانِ
فِي أَصُولِ الدِّينِ

تأليفه
الشيخ كمال الدين أحمد بن محمد بن حسين بن سنان الدين
البيضايني زاده الرومي الحنفي الميسنوي
المتوفى ١٠٩٧ هـ

حرره
أحمد فردي الميزيري



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الباب الثاني / في الصفات الذاتية وما يرجع إليها

١٦٢

ولذا رجح إمام الحرمين فقال في الرسالة النظامية بعدما رجح التأويل في الإرشاد: والذي نرتضيه رأياً وتدين الله به عقداً أتباع سلف الأمة، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها، واختاره الإمام الرازي حيث قال بعد إقامة الدلائل العقلية على أن حمل اللفظ على الظاهر محال، لا يجوز الخوض في تعيين التأويل؛ لأنه إما يكون بترجيح مجاز على مجاز، وذلك لا يمكن إلا بالدلائل اللفظية، وهي ظنية كما فصله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا نَارًا﴾ [آل عمران: ٧].

(ص): (وقال في الفقه الأبسط: ليست كأيدي خلقه ليست بجارحة، وهو خالق الأيدي، وجهه ليس كوجه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق كل النفوس) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(ح): والثاني: ما أشار إليه (وقال في الفقه الأبسط: باقتباس قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠])، وأوضحه بقوله: (ليست كأيدي خلقه ليست بجارحة)، وأشار إلى تعليقه بقوله: (وهو خالق الأيدي)؛ لأن الخالق لا يشابه المخلوق، (وجهه ليس كوجه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق كل النفوس)، فهو منزلة عن الجوارح والكيفيات والتجسم ومشابهة المخلوقات؛ إذ لو كان جسماً لأُصِفَ بصفات الأجسام، إما كلها فيجتمع الضدان، أو بعضها فيلزم الترجيح بلا مرجح أو الاحتياج، وأيضاً فيكون متناهياً فيتنحصر بمقدار وشكل، فاختصاصه بهما دون سائر الأجسام يكون لمخصص، ويلزم الحاجة كما في المواقف، ولو كان مشابهاً للمخلوقات لكان أضافه بالعلم والقدرة والحياة من الجائزات، فلا يُتَصَف إلا بواجب موجب وتخصيص مخصص كما في التقديس، فيمتنع أن يكون ما ورد من اليد والوجه عضواً جسمانياً، وأن يكون نفسه كنفس الأجسام، بل لا يماثله شيء في ذاته وصفاته، كما أشار إلى التعميم باقتباس قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١])، فأشار إلى الاستدلال وضمنه الرد على المشبهة بامتناع المشابهة والمساواة للمخلوقات في تلك الوجوه.

وفيه إشارات:

الأولى: الاستدلال بأنه لو كانت ذاته مساوية لسائر ذوات المتحيزات، فكما يصح على سائر المتحيزات كونها متحركة تارة وساكنة أخرى وجب أن تكون ذاته أيضاً

الباب الثاني / في الصفات الذاتية وما يرجع إليها

١٦٥

والله أشار بقوله: فقبل خلق العرش أين كان الله؟.

الثالثة: الجواب بأن التحيز وقبول الحوادث من أمارات الحدوث، وهو على القديم محال، ومنع ضرورة العقل عن الاتصال والانفصال سيما قبل خلق العرش وخلق الجسمانيات، وعن التغير والتماس بعد إحداث المحدثات كما في شرح قواعد العقائد. والله أشار أيضاً بقوله: (فقبل خلق العرش أين كان الله)، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

(ص) (وقال في الفقه الأيسر: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء).

(ش) الخامس: ما أشار إليه، (وقال في الفقه الأيسر: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين): أي مكان (ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء)، مُوجِد له بعد العدم، فلا يكون شيء من المكان والجبهة قديماً.

وفيه إشارات:

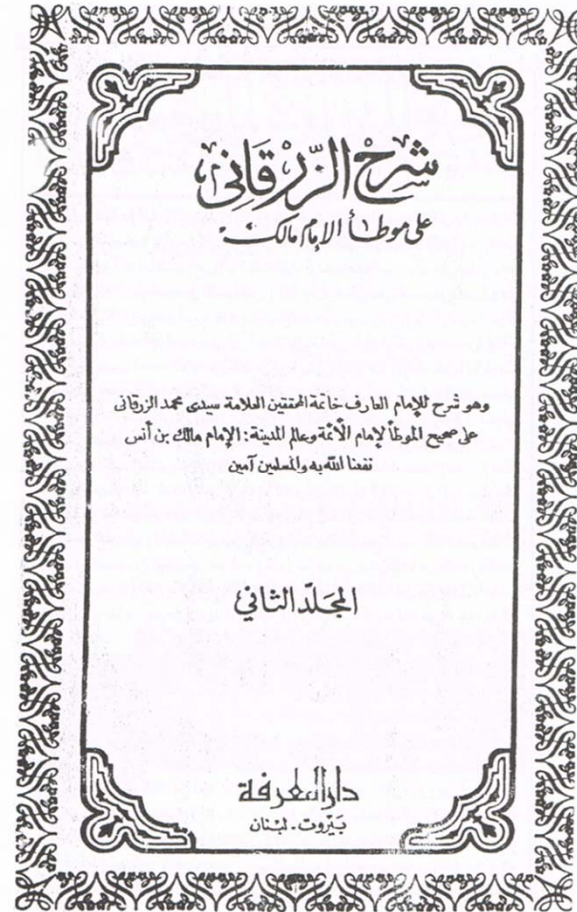
الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكان وجهة لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسمًا؛ لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لمتنهي مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك، فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مر بيانه، والله أشار بقوله: كان ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء.

وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما في شرح العضية.

الثانية: الجواب بالألا يكون الباري تعالى داخل العالم؛ لامتناع أن يكون الخالق داخلًا في الأشياء المخلوقة، ولا خارجًا عنه بأن يكون في جهة منه؛ لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات، وتحقق الأمكنة والجهات، والله أشار بقوله: «هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» [الأنعام: ١٠٢]، وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كون القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير (مسلم)، بل هو المستغني عن محلي يقوم به، كما في شرح المواقف، والله لو ح بقوله: كان الله ولا مكان.

(ص): (وأنه تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والالوهية في شيء، وعليه ما روي في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وَجِبَ عَلَيَّ عَتَقُ رَقَبَةٍ مُؤَمَّنَةٍ أَتَجِزِي هَذِهِ؟ فَقَالَ هَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَمُؤَمَّنَةٌ أَلَتْ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَعْتَقَهَا



من شرح الزرقاني على الموطأ

٣٥

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَجْعَلْ يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي .

٤٩٩ - وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

إِدْرَاكًا مَا تَبْدُوهُ سِتَّةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ (مولي: إن أضر) يَنْتَعِلُ الْمُرُوءَةُ وَالْمَاءُ بَيْنَهُمَا ذَايَ سَاكِنَةٍ آخَرُهُ وَابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ الْقَدِيحِيُّ صُنِيرٌ (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدهم ما لم يجعل) يَنْتَعِلُ التَّحِيَّةَ وَالْجَمْعَ بَيْنَهُمَا عَيْنًا سَاكِنَةً مِنَ الِاسْتِجَابَةِ بِمَعْنَى الْإِجَابَةِ قَالَ الشَّاعِرُ هـ فَلَمْ يُسْتَجَبْ عِنْدَ ذَلِكَ بِحَبِّ هـ أَيْ بِحَبِّ دَعَا كُلِّ أَحَدٍ مِنْكَ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُضَافَةَ لِلْمَعْنُومِ عَلَى الْأَصَحِّ (فيقول) بِالْقَاءِ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ مَا لَمْ يَجْعَلْ (قد دعوت فلم يستجب لي) بِمَعْنَى التَّحِيَّةِ وَقَدْ قَامَ الْجَمْعُ قَالَ الْبَاقِي يُحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ يُسْتَجَابُ الْإِجَابَةُ عَنْ وَجوب وقوع الإجابة أي يُتَحَقَّقُ وَقَوْعُهَا أَوْ الْإِجَابَةُ عَنْ جَوَابٍ وَقَوْعُهَا فَإِنْ أَرَادَ الْجَوَابَ فَهُوَ بِأَحَدٍ لِلْإِجَابَةِ فَجَعَلَ مَسْأَلَهُ أَوْ كَقَوْلِهِ أَرِيدَ غَيْرَهُ فَإِذَا قَالَ دَعَوْتُ أَيْ لَمْ يَجْعَلْ أَحَدُهُ الْإِجَابَةَ وَغَرَى الدُّعَاءَ عَنْ جَمِيعِهَا وَأَنْ أَرَادَ الْجَوَابَ فَيَكُونُ الْإِجَابَةُ بِفَعْلٍ مَا دَعَا بِهِ وَمَنْعَهُ قَوْلُهُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِأَنَّهُ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ وَاللَّسْخَطِ وَفِي سَلَمٍ وَالزُّهْرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِقَوْلِهِ مَا لَمْ يَجْعَلْ يَأْتِيهِ أَوْ قَطْعِيَّةٌ رَحِمَ وَمَا لَمْ يُسْتَجَبْ قَبْلَ وَمَا لَمْ يُسْتَجَبْ قَبْلَ يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يُسْتَجَابْ لِي فَيُسْتَحْصَرُ عَنْ ذَلِكَ دَعَا الدُّعَاءِ وَيُسْتَحْصَرُ بِمَهْلَاتِ اسْتِغْفَالٍ مِنْ حَسَرَاتِهَا أَيْ وَتَكْرَارِ دَعَوَاتِهَا لِاسْتِمْرَارِ أَيْ دَعَوَاتِهَا مَرَارًا كَثِيرَةً قَالَ الظَّهْرِيُّ مِنْ لَهْ مَلَأَتْهُ مِنَ الدُّعَاءِ لَا يَقْبَلُ دَعَاؤُهُ لِأَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ حَصَلَتْ الْإِجَابَةُ أَوْ لَمْ تَحْصَلْ فَلَا يَبْقَى لِلزُّمَنِ أَنْ يَلْ مِنْ الْعِبَادَةِ وَتَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ إِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ وَقْتُهَا وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ فِي الْأَوَّلِ قَبُولَ دَعَائِهِ فِي الدُّنْيَا لِيُعْطَى عَوْنُهُ فِي الْآخِرَةِ وَلِأَنَّهُ أَنْ يُوْخَّرَ الْقَبُولُ لِيَلْبَحَ وَيَبَالِغَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُجِيبُ الْمُحْسِنِينَ فِي الدُّعَاءِ مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِثْقَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ وَإِظْهَارِ الْإِنْفِخَارِ وَمَنْ يَكْثُرُ فِرْعَ الْبَابِ يَوْشَكَ أَنْ يَنْتَعِلَ لَهُ وَمَنْ يَكْثُرُ الدُّعَاءُ يَوْشَكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ وَمُسْلِمٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى كَلَامًا عَنْ مَالِكٍ بِهِ (مالك) عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَلَامَانَ يَسْكُرُونَ الْإِيمَانَ (الأعرب) يَنْتَعِلُ الثَّوْبَيْنِ الْمُحْصَيْنِ وَشَدَّ الرِّهَاءَ الْجَنِينَ مَوْلَاهُ الدُّنْيَا وَأَصْلُهُ مِنْ أَصْهَانَ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عُرْفَةَ الزُّهْرِيِّ (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا) اخْتَلَفَ فِيهِ الْقَارِئُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَنَّهُ بِكُلِّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا عَلَى طَرِيقِ الْإِجَابِ مَرْهُونٌ قَدْ تَعَالَى عَنْ الْكِبَرِيَّاتِ وَالنَّسَبِ وَقَدْ لَبِثَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَتْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّفَائِينَ وَالْحَادِثِينَ وَالْبَيْتِ وَالْأَوْرَاقِ وَغَيْرِهِمْ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ وَهُوَ أَسْلَمٌ وَبَدَّلَ عَلَيْهِ اخْتِلَافَهُمْ عَلَى أَنْ تَأْوِيلُ الْمَعْنَى لِأَجِبْ طِبْنَةُ الْفَوَاضِلِ أَسْلَمٌ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ النَّزُولُ رَاجِعٌ إِلَى أَسْمَاءِهِ لَا إِلَى ذَاتِهِ بِرَأْسِهِ عَابَرَةٌ عَنْ مَلِكِهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِأَمْرِهِ وَنَبِيهِ قَالُوا لَوْلَا حَسْبُ مَعْنَى الْمَلِكِ الْمَجْبُوتِ بِذَلِكَ أَوْ مَعْنَى يَحْيَى لَمْ يَقُولْ ثُمَّ قِيلَ فَكَيْفَ ذَلِكَ نَزُولًا عَنْ مَرْتَبَةٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ فَهِيَ عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَأْوِيلُهُ بِوَجْهَيْنِ إِمَّا أَنْ الْمَعْنَى يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوْ الْمَلِكُ وَإِمَّا أَنَّهُ اسْتِمْرَارٌ بِمَعْنَى التَّطَلُّفِ بِالْبَاقِي وَالْإِجَابَةُ لَمْ يَحْوَ وَكَذَلِكَ حَسْبُ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ يَنْزِلُ بِرَأْسِهِ وَأَمْرُهُ أَوْ مَلِكُهُ كَمَا يَتَأَلَّفُ فَعَلِ الْمَلِكُ كَذَا أَيْ أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ لَكِنْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَوْمٌ يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّهُ أَمْرُهُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَنَعْمَتِهِ يَنْزِلُ بِالْقَبْلِ وَالنَّهَارِ بِمَا تَوَقَّعْتَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ وَالْغَيْرُ مَوْصُوعٌ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ لَكَانَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَغْلَبِيَّ فِي الِاسْتِجَابَةِ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَقَالَ الْبَاقِي هُوَ إِنْ جَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَغَيْرِهِمْ لِلْمُسْتَفْرِقِينَ وَتَفْصِيلُهُ عَنْ فَعْلٍ الْوَقْتُ كَقَوْلِهِ إِذَا تَوَزَّعَ عِدَى إِلَيَّ شَرًّا تَغْزِيهِ إِلَيْهِ ذِرَاعَا الْحَدِيثِ لَمْ يَرِدْ قَرَبُ الْمَسَاقَةِ لَعَدَمِ امْتِنَانِهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ الْعَمَلُ مِنَ الْعِيدِ وَمَنْ تَعَالَى الْإِجَابَةَ وَحَسْبُ ابْنُ قُرُونٍ أَنَّ بَعْضَ الشَّائِخِ خَطِيبُهُ بَعَثَ أَنَّهُ عَلَى حَذْفِ الْمَقْصُولِ أَيْ يَنْزِلُ مَلَكًا قَالَ الْخَافِظُ وَيَقْوَاهُ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْرَبِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبْنِ سَعِيدٍ أَنَّ اللَّهَ يَهْبِلُ حَتَّى يَمُوتَ

اتِّخَافُ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ

بِشَرْحِ
إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

تَصْنِيفُ

الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ الزَّيْدِيُّ
الشَّهِيدُ بِمِرْتَضَى
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠٥ هـ

تَنْبِيْهُ

حَيْثُ تَحَقَّقَ أَنَّ السَّادَةَ لَمْ يَسْكُنُوا فِي بَعْضِ مَوَاضِعَ قَرْصِهِمْ قَتْدَبًا لِلْعَاقِبَةِ
أَرَدْنَا إِيضًا عُلُومَ الدِّينِ كَمَا يَكُونُ فِي الْعَامِ الصَّغِيرَةِ وَفِي الْأَسْفَلِ مَا جَاءَ بِهِ السَّادَةُ

الجزء الثاني

كتاب قواعد العقائد ، كتاب أسرار الطهارة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

١٧٦ كتاب قواعد المعائد / الفصل الثالث

ﷺ: « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر، وحل قوله ﷺ: « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون

(و) كذا (حل قوله ﷺ: « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ») رواه مسلم في صحيحه وفيه أيضاً: أن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبليها كقلب واحد يصرفه كيف شاء (على القدرة والقهر) مجاز بعلaque أن اليد في الشاهد محل لظهور سلطان القدرة والقهر فحسن إطلاق اليد وإرادة القدرة والقهر قصداً للمبالغة إذ المجاز أبليغ، (وكذا حل قوله ﷺ: « الحجر الأسود يمين الله في أرضه ») أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظه. وروى ابن ماجه نحوه من معناه من حديث أبي هريرة رفعه بلفظه: « من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن ». (على التشريف والإكرام) والمعنى انه وضع في الأرض للتقريب والاستسلام تشريفاً له كما شرفت اليمين وأكرمت بوضعها للتقريب دون اليسار في العادة فاستعير لفظ اليمين للحجر لذلك أو لأن من قبله أو استلمه، فقد فعل ما يقتضي الإقبال عليه والرضا عنه وهما لازمان عادة لتقريب اليمين. والحاصل أن لفظ اليمين استعير للحجر للمعنيين أو لأحدهما، ثم أضيف إضافة تشريف وإكرام، (لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه) المحال، ويتأمل بعض الآيات والأخبار دون بعض على حكم التمني والتشهي ليس في الشرط، والمقصود من هذه المعارضة انه يعرف أن الخصم يضطر إلى التأويل، فلتكن التأويلات على وقف الأصول. فإن قيل: فهذا يشعر بكونه مغلوباً مقهوراً قبل الاستواء. قيل: إنما يشعر بما قلتم أن لو كان للعرش وجود قبل الخلق وكان قديماً والعرش مخلوق وكل ما خلقه حصل مسخراً تحت خلقه فلولا خلقه إياه لما حدث، ولولا ابتقائه إياه لما بقي ونص على العرش لأنه أعظم المخلوقات فيها نقل البنا، وإذا نص على الأعظم فقد اندرج تحته ما دونه.

قال ابن القشيري: ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله: « وهو القاهر فوق عباده » [الأنعام: ١٨] بذلك أيضاً حتى يقال: كان مقهوراً قبل خلق العباد. هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهالة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن الباري تعالى كان موجوداً قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول: العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول: الرب بالعرش استوى، فالرب إذا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة، ثم قال: وقد نبئت نابعة من الرعاع لولا استزلالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا المكتوب عن تلطيطه بذكرهم. يقولون: نحن نأخذ بالظواهر ونجري الآيات الموهمة تشبيهاً والأخبار المقتضية حداً وعضواً على الظاهر، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك ويتمسكون بقول الله تعالى: « وما يعلم تأويله إلا الله » [آل عمران:

كتاب قواعد العقائد / الفصل الثالث ١٧٧

المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال.

[٧]. وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والعمام من طريق يقترب به المستضعفون، فأوجوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والالتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهريهم يبادر بوجهه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائخ فسال به السبل وهو لا يدري أهـ.

ثم ذكر المصنف المحال الذي يلزم من تفسير الاستواء بالاستقرار والتمكن فقال: هو (كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال وما يؤدي إلى المحال محال). وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكاناً لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذاً متشكلاً بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعاً كان هو مربعاً أو كان مثلثاً كان هو مثلثاً وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على المكان ويشعر ذلك بأنه متجزئ. وله كل ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنه ربه أو خسه وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلا بتحديد، وتنطرق إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على الباري تعالى فتجوّزه في حقه كفر من معتقده، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكون وقبيح وصف الباري بالكون، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسه جاز عليه مباينته، ومن جاز عليه المباينة والمماس لم يكن إلا حادثاً، وهل علمنا حدوث العالم إلا بجواز المماس والمباينة على أجزائه؟ وقصارى الجهلة قولهم كيف يتصور موجود لا في محل، وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يعرف غورها وقعرها إلا كل غوّاص على بحار الحقائق وهيئات، طلب الكيفية حيث يستحيل محال، والذي يدحض شبههم أن يقال لهم قبل أن يخلق العالم أو المكان، هل كان موجوداً أم لا؟ فمن ضرورة العقل أن يقول: بلى فيلزمه لو صح قوله: لا يعلم موجوداً إلا في مكان أحد أمرين إما أن يقول المكان والعرش والعالم قديم، وإما أن يقول الرب تعالى يحدث وهذا مأل الجهلة والحشوية ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم ونعوذ بالله من الحيرة في الدين.

قال ابن الهمام في المسابرة: على نحو ما ذكرنا في الاستواء يجري كل ما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالأصبع والقدم واليد والعين فيجب الإيمان به مصحوباً بالتنزيه، فإن كلاً منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به، وقد يؤول كل من ذلك لأجل صرف فهم العامة عن الجسمية وهو يمكن أن يراد ولا يجرم

أَوْجَزُ الْمَسَائِلِ لِ مُوطِ أَمَالٍ

تأليف
العلامة الشيخ محمد زكريا بن محمد بن يحيى الكاندهلوي

تحقيق
أيمن صالح شعبان
مدير مركز تحقيق الفهرس

المجلد الرابع

يحتوي على الكتب التالية:
صلاة الخوف - صلاة الكسوف - الاستسقاء - القبلة - القبور
الجنائز

مستورات
محمّد بن يحيى
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

أحمد المزني يقول : حديث النزول قد ثبت عنه ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رِيكٌ مَلَكٌ مَلَكًا صَفًا صَفًا ﴾ ، انتهى .

(ينزل ربنا) اختلف في ضبطه فقيل : يضم الياء من الإنزال فيكون معدى إلى مفعول محذوف أي ينزل الله ملكًا ، والدليل على صحته رواية النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعًا : إن الله عز وجل يهمل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له ، الحديث ، وصححه عبد الحق ، وعلى هذا فلا إشكال في الرواية ، وأما على ما هو مشهور في ضبطه وهو بفتح الياء من النزول فمشكل ، لما فيه من معنى الانتقال ، ويؤيد هذه الرواية ما في مسلم بلفظ « ينزل ربنا » بزيادة التاء ، قال البيضاوي : لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه وتقدس منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه ، انتهى .

فالعلماء على قسمين : الأول : المقوضة ، قال الزرقاني : فالراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزّهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه ، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والليث والأوزاعي وغيرهم . وقال البيهقي : هو أسلم يدل عليه اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب ، فحينئذ التفويض أسلم ، انتهى .

والقسم الثاني : المؤولة ، واختلفوا في تأويله على أنحاء منها قال ابن العربي : إن النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن نزول ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه فالأول حسي صفة الملك المبعوث بذلك أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمى ذلك نزولاً من مرتبة إلى مرتبة يعني أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ، وحكى عن مالك - رضي الله عنه - أنه أوله ينزل رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أي أمر أتباعه بأمره ، وقال ابن عبد البر : قال قوم ينزل رحمته وأمره وليس بشيء ، لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيرهم ، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب في الاستجابة ذلك الوقت .

وقال الباجي : إخبار عن إجابة الدعاء في ذلك الوقت وإعطاء السائلين ما سألوه وتنبه على فضيلة الوقت كما روي يقول الله تعالى : [إذا تقرب إلي عبدي شبراً تقربت إليه

فَرَأَى [الْحَدِيثَ ، لَمْ يَرِدِ التَّقَرُّبُ فِي الْمَسَافَةِ إِذَا أَرَادَ التَّقَرُّبُ بِالْعَمَلِ مِنَ الْعَبْدِ وَالتَّقَرُّبُ بِالْإِجَابَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْعَتَبَةِ : سَأَلَتْ مَالِكًا عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِي جَنَازَةِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْعَرْشِ ، فَقَالَ : لَا يَتَحَدَّثَنَّ بِهِ وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ ، وَحَدِيثُ إِنْ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَحَدِيثُ السَّاقِ ، قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ يَتَّقِي اللَّهَ أَنْ يَحْدُثَ بِمَثَلِ هَذَا ، قَبْلَ فَالْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ ضَحَكَ» فَلَمْ يَرَهُ مِنْ هَذَا وَأَجَاظَهُ ، وَقَالَ : وَحَدِيثُ النَّزُولِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا أَنَّ حَدِيثَ النَّزُولِ وَالضَّحْكَ أَحَادِيثُ صَحَّاحٍ لَمْ يَطْعَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا وَحَدِيثُ اهْتِزَازِ الْعَرْشِ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِنْكَارُ لَهُ وَالْمُخَالَفَةُ فِيهِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَحَدِيثُ الصُّورَةِ وَالسَّاقِ لَيْسَتْ أَسَانِيدُهَا تَبْلُغُ فِي الصَّحَّةِ دَرَجَةَ حَدِيثِ النَّزُولِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي حَدِيثِ النَّزُولِ أَقْرَبُ وَأَبِينُ وَالْغَرَرُ بِسُوءِ التَّأْوِيلِ فِيهِمَا أَبْعَدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، انْتَهَى .

(تَبَارَكَ وَتَعَالَى) جَمَلَتَانِ مَعْتَرِضَتَانِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَظَرْفِهِ وَهُوَ كُلُّ لَيْلَةٍ فِي وَقْتٍ خَاصٍّ كَمَا سَيَأْتِي (إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) قِيلَ عِبَارَةً عَنِ الْحَالَةِ الْقَرِيبَةِ إِلَى الْبِنَا وَالْدُّنْيَا بِمَعْنَى الْقَرِيبِ . وَقِيلَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَقْتَضَى صِفَاتِ الْجَلَالِ الَّتِي تَقْتَضِي الْأَنْفَةَ مِنَ الْأَرَادِلِ وَقَهْرُ الْأَعْدَاءِ وَالْإِنْتِقَامُ مِنَ الْعَصَاةِ إِلَى مَقْتَضَى صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْإِكْرَامِ لِلرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ (حِينَ يَسْقَى ثَلَاثَ) بِضَمِّ لَامٍ وَسُكُونِ (اللَّيْلِ) بِالْجَرِّ (الْآخَرِ) بِالرَّفْعِ صِفَةً ثَلَاثَ وَالتَّخْصِصُ بِاللَّيْلِ ، وَالثَّلَاثُ الْآخِرُ لِأَنَّهُ وَقْتُ سُكُونِهِ ، وَوَقْتُ التَّهَجُّدِ وَغَفْلَةِ النَّاسِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِنَفْحَاتِ رَحْمَتِهِ تَعَالَى ، فَتَكُونُ النِّيَّةُ خَالِصَةً ، وَالرَّغْبَةُ وَافِرَةً ، وَلَمْ تَخْتَلَفِ الرُّوَايَاتُ عَنِ الزَّهْرِيِّ فِي تَعْيِينِ الْوَقْتِ ، وَاخْتَلَفَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي ذَلِكَ ، وَجَمَلَةٌ مَا رَوَى عَنْهُ خَمْسُ رَوَايَاتٍ :

إِحْدَاهَا : الْمَذْكُورَةُ ، وَهِيَ رَوَايَةُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ وَشُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ وَمَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ وَيُونُسَ بْنِ يَزِيدٍ وَمَعَاذَ بْنَ يَحْيَى وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ابْنِ سَمْعَانَ وَصَالِحَ بْنَ الْأَخْضَرِ كُلَّهُمْ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، وَهَكَذَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَيَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ الْعِثْبِيُّ .

وَالثَّانِيَةُ : رَوَايَةُ أَبِي سَلَمَةَ وَغَيْرِهِ عَنْهُ بِلَفْظِ حِينَ يَمْضِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأُولِ .

الْبَصَائِقُ

فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ زَيْدٍ

لِلْإِمَامِ الْحُجَّةِ أَبِي الْحَسَنِ تَقِي الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِرِ

السَّيِّدِ الْكَبِيرِ الْمُنَوَّرِ سَنَةِ ٧٥٦

يُرَدُّ بِهِ عَلَى نُوتِيَةِ ابْنِ الْقَيْمِ

وَمَعَهُ تَكْلِيفُ الرَّدِّ عَلَى نُوتِيَةِ ابْنِ الْقَيْمِ

بِقَلَمِ

مُحَمَّدٍ زَاهِدِ بْنِ الْحَسَنِ السَّكُونِيِّ

عَنِ عَمَلِهِمَا

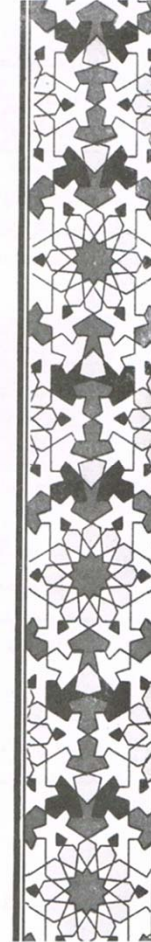
تَقْدِيمُ لَجْنَةٍ

مِنْ عُلَمَاءِ الْإِزْهَرِ

مَكْتَبَةُ هِجْرَانِ

١٥ شَارِعُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَيْدِهِ

خَلْفَ جَامِعِ الْإِزْهَرِ ت : ١٤٨٨٧ هـ



كفه ويمينه تطوى السماء وينزل^(١) في الدجى في الثلث الأخير والثلث الثاني وأن له نزولا^(٢) ثانيا يوم القياسة للقضاء وأنه يبدو جهرة لعباده حتى يرونه ويسمعون كلامه وأن له قدما^(٣) وأنه واضعها على النيران وأن الناس كل منهم فاعل إزاء هذا وهم قد فعلوا بى ما تروونه؟ ويعلمون هذا بما فعله غرود من توجيهه الرمي إلى السماء ليقتل إله إبراهيم عليه السلام قاهمين أن سهمه أصاب ساق الله فيقتل مبروطة من أثر الجرح في ذلك اليوم . فهل رأى القارىء كفرا أشنع من هذا وأبعد من هيبة الرب سبحانه وتقديره حق قدره وأدل على ذهاب العقول؟ قاتلهم الله .

(١) قال ابن حزم في الفصل : إن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل بفعله ربنا في ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بظلال قوله في إبطال القول بالنجسيم اهـ وفي بعض طرق الحديث ما يعين أنه إسناد مجازي ، ففي سنن النسائي (ان اللسه يأمر ملكا ينادى ...) وفي شرحي البذر العيني وابن حجر على البخاري بسط واف في المسألة .

(٢) ولفظ التنزيل ﴿ وجاء ربك ﴾ [الفجر : ٢٢] قال أحمد : أمره . وقد بينه في قوله تعالى ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ [النحل : ٣٣] رواه ابن حزم وأبو يعلى وابن الجوزي . قال الخلال في السنة يستند إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها فقال : (تؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى) .

(٣) وضع القدم مجاز مشهور عن التسمكين وعن الردع والقمع . راجع أساس البلاغة والفائق ودفع شبه التشبيه وأساس التقديس . والأخيران مهمان جداً في الرد على المشوية ، وهما مطبوعان يسهل تناولهما ففيهما غنية عن التوسع بأكثر مما ذكر .

رُؤُوسُ عِلَى الْأَبْطِيدِ وَرَسَائِلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْحَامِدِ

القسم الثاني

تَأْيِيدُ الْفَقِيرِ إِلَيْهِ تَعَالَى
الشيخ محمد الحامد
مدرس ومطبيب جماع الطلّات بمكة
ومدرس الديانة بمانزة ابن رشديها

حقّقته وراجعه
خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

منشورات الكتبة الحديثة
طبعة - بيروت

لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من أدركته ما له عقل
وما زلت أجلو عنهم كل خَلَّةٍ من الاعتقاد الرَّذَلِ يُجمع الشمل
إلى آخرها فانظرها فيه وطالع الكتاب فإنه شريف
نفيس .

وصفوه القول أن التشابهات لا تؤخذ بظواهرها ،
وللعلماء فيها مسلكان فالسلف منهم يؤولونها تأويلاً إجمالياً
بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته
ولم يعينوا ذلك المعنى بل فوضوه إلى الله تعالى وتبارك .
والخلف يؤولونها تفصيلاً بتعيين معانيها بما تفهمه لغة العرب
ويصرفونها عن ظاهرها أيضاً كالسلف .

ومذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ولا يصار إلى مذهب
الخلف إلا عند الخوف من تزلزل العقيدة وخشية التشبيه .
ومن التشابه الحروف المقطعة أوائل السور . ومذهب
السلف فيها ترك الخوض فيها ورد علم معانيها إلى الله
تعالى وهذا هو الذي عليه الجاهير من العلماء .

وهناك مذهب فيها له اعتبار علمي أيضاً وهو أن
المقصود من افتتاح السور بها هو التحدي للعرب بأن يأتوا
إن استطاعوا بكتاب كالقرآن الكريم فإنه كما ترون
مركبة كلماته من حروف اللغة العربية التي تتكلمون بها

وإن مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم. ومذهب الخلف لا يصار إليه إلا عند الاضطرار لدرء خطر التشبيه أو ضرر التعطيل. وكل من هذين زيغ وضلال وخروج عن سواء الصراط وارتكاس في حمأة الشر والدوء، ولا سوء يعدل السوء في العقيدة والخطب فيها والعياذ بالله تعالى وتبارك.

الله سبحانه وتعالى منزّه عن الحركة والسكون والصعود والهبوط والتقدم والتأخر لأن هذا كله يتصف به المخلوق والله ليس بمخلوق ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾.

والنزول إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل يجري فيه المذهبان للسلف والخلف. فالأولون يقولون آمنا به كما يليق بالله ولا هبوط ولا صعود ولا حركة ولا سكون والله أعلم بالمراد منه. والخلف يقولون هو إقبال على الخلق باستجابة الدعاء وإنزال الرحمة وقبول التائبين ورزق المسترزقين والمغفرة للمستغفرين. وبعض كبار العلماء يقول إن الذي ينزل هو ملك ينزل بأمر الله عز وجل وينادي بما يأمر ربه عز وعلا.

وقوله تعالى ﴿أأنتم من في السماء﴾ أي من في السماء ملكوته وملائكته ومنها تنزل أوامره ونواهيته وقضاياه

كِتَابُ
التَّهْجِيكِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ

لِلْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ
ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا وَابْنِ خَالٍ وَابْنِ حَبْرٍ
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

إِعْدَادُ
السَّيِّحِ عَلِيِّ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَالِ الطَّرَطَاوِيِّ
رئيس جمعية أهل القرآن والفتنة

مَشْهُورَاتُ مَحَبَّةِ رَحْمَتِ بَيْتِ
دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
مَكَّةُ

الحديث

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ.

الشرح

قوله: (عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأعرج، عن أبي هريرة) في رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، "أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو عبد الله الأعرج صاحب أبي هريرة، أن أبا هريرة أخبرهما".

قوله: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) استدل به من أثبت الجهة وقال: هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك. وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم.

ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإما عناداً.

ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال منزهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي، وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانيين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم.

ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.

ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجوراً فأول في بعض وفوض في بعض، وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.

قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم.

وسأني مزيد بسط في ذلك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

وقال ابن العربي: حكى عن المتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول.

فأما قوله يتزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي يتزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عريية صحيحة انتهى.

والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى يتزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه.

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يتزل ملكا، ويقويه ما رواه النسائي، من طريق الأغر، عن أبي هريرة وأبي سعيد، بلفظ: "إن الله يمهّل حتى يمضي شطر الليل، ثم يأمر متاديا يقول: هل من داع فيستجاب له" الحديث.

وفي حديث عثمان بن أبي العاص "يتادي متاد هل من داع يستجاب له" الحديث.

قال القرطبي: وهذا يرتفع الإشكال، ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني "يتزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا يسأل عن عبادي غري" لأنه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور.

وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتجيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور

سَبِيلُ الرَّشَادِ

فِي حَجَجِ
أَهْلِ الْحَقِّ وَالسَّادَاتِ

جَمَعَ وَتَرْتِيبَ

صَبِيحِي عَلَيَّوِي حَمْدَانِ عَلَيَّوِي

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

الْشَيْخُ مُحَمَّدٌ عَادِلٌ عَزِيزَةُ الْكِيَالِي
دَكْتُورَاهُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ (جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ)

قَرَأَهُ وَدَقَّقَهُ

الْشَيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَطُورَةُ

مَاجِسْتِيرُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَعِلْمُهُ



من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له»
وفي رواية أخرى أضاف: «فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر» صحيح
مسلم واللفظ له وصحيح البخاري وموطأ مالك ورواه أصحاب السنن:
أبو داود والترمذي والدارمي.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: هذا الحديث من
أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب
الإيمان ومختصرهما أن:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن
بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد
ولا يتكلم في تأويلهما مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن
الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا
عن مالك والأوزاعي: أنها تتأول على ما يليق بها بحسب موطنها فعلى
هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين:

أحدهما: تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره: معناه تنزل رحمته وأمره
وملائكته. كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره.

والثاني: على الاستعارة ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة
واللطف (شرح النووي على صحيح مسلم).

آيَاتُ الْإِصْفَاتِ

وَمِنْهُجِ ابْنِ جَبْرِ الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِ مَعَانِيهَا
مُقَامَرًا بِأَمْرٍ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ

تَأَلَّفَتْ

الدُّكْتُورُ حُسَامُ بْنُ حَسَنِ صَرْصُورٍ

وَفِي آخِرِ الْكِتَابِ

رِسَالَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الطَّيْبِ فِي الْعَقِيدَةِ

صَرِيحِ الشُّنَّةِ

مَنْشُورَاتُ

مَجْمَعِ رِجَالِ بَيْتِ

النُّشْرَةِ الشُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ

بِغَزَّوَاتِ - بَيْسُوتِ

ويبدو أن ابن خزيمة وإن كان من العلماء إلا إنه ليس من أهل العلم في العقائد كما يظهر ذلك من تراجمه عما قاله كما ذكر ذلك الإمام البيهقي.

وككتاب للخلال، والرد على بشر المريسي للدلامي وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكتب ابن تيمية وابن القيم والأسماء والصفات للبيهقي وغير ذلك من الكتب التي جمعت هذه الألفاظ حتى صار القارئ يرسم صورة مشوهة لله تعالى عن ذلك !

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر مثارها من الآي المتشابهة فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالمقل وزيادة إلى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولنبين لك تفصيل هذا المجمع: وذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في أي كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الإيمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه، وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن أي أخرى قليلة توهم التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فأمّنوا بها ولم يتعرضوا لمعنائها ببحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم: أقرؤوها كما جاءت أي أمّنوا بأنّها من عند الله ولا تعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له، وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففريق أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة لأن معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا عنها غنية وجمع بين الدليلين بتأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لأنه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات إن كان بالمعقولية واحدة من الجسم وإن خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتقاربة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق إلا جعلهم لفظ الجسم اسماً من أسمائه ويتوقف مثله على الأذن وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك أولى قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم: صوت لا كالأصوات، جهة لا كالجهات، نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما اندفع به الأول، ولم يبق في هذه الظاهر إلا اعتقادات السلف ومذاهبهم والإيمان بها كما هي لئلا يكر النفي على معانيها بنفيها مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فإنهم يحرمون على هذا المعنى ولا تخمض عينيك عن القرائن الدالة على ذلك في غرضون كلامهم»^(١).

(١) مقدمة ابن خلدون (ص/ ٤٦٣-٤٦٤) لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤.

لِجَمْعِ الْعَوَامِّ عَنْ عَلِّ الْحَكَاوِي

تَأليف
أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ

تَصْحِيحٌ وَتَعْلِيلٌ وَتَقْدِيمٌ
مُحَمَّدُ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الْبَقْدَادِيِّ

الناشر
دار الكتب العلمية

الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في أجسام مؤلفة مولدة مرتبة ترتيباً مخصوصاً مثل الأنف والعين والفم والحد التي هي أجسام وهي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا هو ترتيب في أجسام كقولك عرف صورته وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن أن الصورة في حق الله لم تطلق لإرادة المعنى الأول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من أنف وفم وخد فإن جميع ذلك أجسام وهيئات في أجسام وخالق الأجسام والهيئات كلها منزّه عن مشابقتها وصفاتها وإذا علم هذا يقيناً فهو مؤمن فإن خطر له أنه إن لم يرد هذا المعنى فما الذي أراه فينبغي أن يعلم أن ذلك لم يؤمر به بل أمر بأن لا يخوض فيه فإنه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي أن يعتقد أنه أريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض ، في جسم .

مثال آخر : إذا قرع سمعه النزول في قوله ﷺ : « ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا^(١) » فالواجب عليه أن يعلم أن النزول اسم مشترك قد يطلق إطلاقاً يفتقر فيه إلى ثلاثة أجسام جسم عال هو مكان لسكانه وجسم سافل كذلك وجسم منتقل من السافل إلى العالي ومن العالي إلى السافل فإن كان من أسفل إلى علو سمي صعوداً وعروجاً ورقياً ، وإن كان من علو إلى أسفل سمي نزولاً وهبوطاً وقد يطلق على معنى آخر ولا يفتقر فيه إلى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾^(٢) وما روى البعير والبقر نازلاً من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة في الأرحام ولأنزالها معنى لا محالة كما قال الشافعي^(٣) رضي الله عنه : دخلت مصر فلم

(١) حديث النزول : أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له « وفي الرواية الثانية » ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » .. وهناك روايات أخرى .

(٢) سورة الزمر آية ٦ وقد أخرجه الحديث أيضاً مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده . بالفاظ آخر .. وقد أخرجه الحديث أيضاً مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده .

(٣) الشافعي : هو الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي المصلي أحد الأئمة الأربعة ولد بغزة في

يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت فلم يرد به انتقال جسده إلى أسفل فتحقق المؤمن قطعاً أن النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الأول وهو انتقال شخص وجسد من علو إلى أسفل فإن الشخص والجسد أجسام والرب جل جلاله ليس بجسم فإن خطر له أنه لم يرد هذا فما الذي أراد فيقال إنه إذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فأنت عن فهم نزول الله تعالى أعجز فليس هذا بعشك فادرجي^(١) واشتغل بعبادتك أو حرفتك واسكت واعلم أنه أريد به معنى من المعاني التي يجوز أن يراد بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وإن كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته .

مثال آخر : إذا سمع لفظ فوق في قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾^(٢) وفي قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾^(٣) فليعلم أن فوق

فلسطين سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م وحمل إلى مكة وهو ابن ستين فنشأ بها ويمدنية الرسول ﷺ ، وقدم بغداد مرتين وحديث بها ، وخرج إلى مصر فنزها إلى حين وفاته سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م في آخر يوم من رجب . قرأ الموطأ على مالك وحفظه ثم رواء عنه . ودرس فقه العراقيين . وقرأ كتب الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمه الله ، وقرأ عليه وروى عنه . فاجتمع له علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي . ويعتبر بحق أول من ألف ودون في علم أصول الفقه . ضمنه كتابه الرسالة ورسائل أخرى . من تصانيفه الكثيرة كتاب الأم ، والرسالة ، وجماع العلم ، وأحكام القرآن ، والمسند ، واختلاف الحديث الخ . . . راجع : معجم المؤلفين ج ٩ - ص ٣٢ ، سير النبلاء للذهبي : ٧ ، ١٤٧ عيون التواريخ لابن شاعر الكنتي ٣ : ٢/٢٢٩ - ١/٢٣٣ مناقب الامام الشافعي للرازي - فخر الدين -

تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ - ٧٣ الفهرست لابن النديم ١ : ٢٠٩ - وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٥٦٨ - ٥٦٨ .

ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٢٨١ - ٣٢٧ أبو نعيم الحلية ٩ : ٦٣ الوافي بالوفيات للصفدي ط ٤ ظ - ١٨١ .

الباقعي مرآة الجنان ٢ : ١٣ - ٢٨ طبقات الشافعية للسبكي ، محمد أبو زهرة : الشافعي . عبد الحليم الجندي : الشافعي - هدية العارفين للبغدادي ٢ : ٩ . الخ .

(١) ليس هذا بعشك فادرجي : أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فدعيه . ودرج مشى ومضى . ويضرب هذا المثل لمن يرفع نفسه فوق قدره ولم يتعرض إلى شيء ليس منه وللمطعمين في غير وقته . فيؤمر بالجد والحركة . راجع : مجمع الأمثال للميداني ١٨١/٢ - وفرائد اللال للشيخ إبراهيم الأحب ١٥١/٢ .

(٢) الأنعام ١٨ و ٦١ .

(٣) التحل ٥٠ .



فائدة مهمة في بيان تأويل
المجيء الوارد في قوله تعالى
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

فائدة مهمة :

تفسير قوله تعالى

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

يوم القيامة ينزل ملائكةٌ يُحيطون بالإنس والجن هم يكونون ضمن سبعة صفوف، الملائكة يكونون في سبعة صفوف في وقت من الأوقات الكافر يُنكر أنه كان يعبد غير الله. فإن قيل: فقد قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوتُونَ﴾ (المطففين: ١٥) وقال: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨) وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٧٤) وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار. قلنا: القيامة مواطن، فمواطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان.

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقرير وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴿٩٣﴾﴾ (الحجر: ٩٢ - ٩٣).

قال أهل التأويل: عن لا إله إلا الله. وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دناءتهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها، فإنهم يكتنون عليها ويسألون عنها:

عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ (العنكبوت: ١٢ - ١٣) والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين ﴿فَلِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (المؤمنون: ١٠١) إلى آخرها تبين له الصواب في ذلك، والحمد لله على ذلك. ففي موقف من مواقف القيامة الله يَحْتَمُّ على فم الكافر فتتطرق أعضاؤه، تشهد عليه أعضاؤه بما كان يعمل من الكفر، هذا من العجائب التي يُظهرها الله يوم القيامة كذلك الأرض التي كان عمل عليها الإنسان شراً أو خيراً، الله يُنطقها، هذا الجزء من الأرض يشهد عليه بما فعل من السيئات ويشهد للمؤمن بما فعل من الخيرات. الذهب الذي كان الشخص لا يُزكّيه يكون جمرًا يُعيدُه الله فيحُمى في نار جهنم يسير مثل الجمر ثم يَكُوى به جنب وجبهة وظهر الذي كان لا يُزكّيه. ويُعيدُ الله البقر الذي كان لا يُزكّيه الشخص فتنتطحه بقرونها وكذلك الإبل تدوس بخفافها الشخص الذي كان لا يُزكّيه وكذلك في ذلك اليوم تظهر عجائب أخرى. هذه العجائب الله قال عنها: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

وجاء ربك معناه تلك العجائب التي تظهر يوم القيامة. ثم الملائكة يُجرون جزءاً من جهنم كبيراً سبعون ألف ملك بسبعين ألف سلسلة

يَجْرُونَهَا إِلَى حَيْثُ يَرَاهَا الْكَفَّارُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا جَهَنَّمَ. وَلَوْ كَانَ يَوْجَدُ
مَوْتَ هُنَاكَ لَمَاتَ الْكَفَّارُ مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ لَكِنْ هُنَاكَ فِي الْآخِرَةِ
لَا يَوْجَدُ مَوْتَ. فِي الدُّنْيَا مَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَلَمُ قَدْ يَمُوتُ أَمَّا فِي الْآخِرَةِ
لَا يَمُوتُ. أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ شَكَّ﴾، وَجَاءَ رَبُّكَ أَيِ
ظَهَرَتْ عَجَائِبُ قُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَقُولُونَ جَاءَ اللَّهُ مِنْ فَوْقَ إِلَى تَحْتَ لَا، هَذَا
كَفَرٍ. الْوَهَابِيَّةُ يَقُولُونَ اللَّهُ يَأْتِي مِنْ فَوْقَ إِلَى الْأَرْضِ الْمُبْدَلَةِ لِیُحَاسِبَ
الْخَلْقَ جَعَلُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَالْمَلِكِ الَّذِي يُقَابِلُ الرِّعِيَّةَ. اللَّهُ لِلْحَجْمِ
لَيْسَ اللَّهُ، الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْقَرِيبَ مِنْهُ
بِالْمَسَافَةِ هَذَا مَا عَرَفَ اللَّهُ. الْوَهَابِيَّةُ يُفَسِّرُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الظَّاهِرِ
وَهَذَا لَا يَجُوزُ، الَّذِي يُفَسِّرُ كُلَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الظَّاهِرِ يَكْفُرُ كَمَا
قَالَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ الرَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَوْنُوا عِقَانَكُمْ مِنَ التَّمَسُّكِ
بِظَوَاهِرِ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَغَنَ ذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْكُفْرِ. ١. هـ
أَيِ أَوْقَعَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي الْكُفْرِ. كَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ الْمُؤْمِنُونَ
بَعْدَ أَنْ يَسْتَقَرُّوا فِي الْجَنَّةِ يَرَوْنَ اللَّهَ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَقَرٌّ فِي الْجَنَّةِ،
وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ذَاتًا قَرِيبًا مِنْهُمْ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ذَاتًا بَعِيدًا
عَنْهُمْ، يَرَوْنَهُ بَلَا كَيْفٍ وَلَا جِهَةً لَا يَرَوْنَهُ هَكَذَا إِلَى فَوْقَ ثُمَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَمَّا
يَرَوْنَ اللَّهَ بَعْدَ جِذَابِهِمْ فِي الْجَنَّةِ لَا يَشْكُونُ أَنَّ اللَّهَ لَأَتَهُمْ رَأَوْا شَيْئًا لَا
مِثْلَ لَهُ لِذَلِكَ لَا يَشْكُونُ أَنَّ اللَّهَ. ١. هـ

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُجَوِّزُ التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ مُوَافِقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
وَلُغَةِ الْعَرَبِ لِذَلِكَ أَوَّلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلِكُ صَفَا صَفَا. قَالَ:

«جَاءَ أَمْرُهُ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «جَاءَتْ قُدْرَتُهُ»، مَعْنَاهُ اللَّهُ يُظْهِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْوَالًا عَظِيمَةً، هِيَ أَثَارُ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مُجَسِّمًا كَأَدْعِيَاءِ السَّلَفِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَمَا أَوَّلَ الْآيَةَ وَلَكَانَ أَخَذَ بِظَاهِرِهَا. أَمَّا الْمُجَسِّمَةُ أَدْعِيَاءُ السَّلَفِيَّةِ فَيَقُولُونَ: «التَّأْوِيلُ تَعْطِيلٌ» اهـ

وَالْتَعْطِيلُ هُوَ نَفْيُ وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ صِفَاتِهِ فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ حَاكِمِينَ عَلَى أَحْمَدَ بِالْكَفْرِ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مُعْطَلًا، فَكَيْفَ بَعْدَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ الْإِنْتِسَابَ إِلَيْهِ.

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُنَزِّهُ اللَّهَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مُتَصَوِّرًا، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ»، رَوَاهُ أَبُو الْحَسَنِ التَّمِيمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى اعْتِقَادُ الْإِمَامِ الْمُجَلِّلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَقَوْلُهُ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ» رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيُّ.

المَقَاتِلُ السَّنِيَّةُ

فِي كَشْفِ

ضَلَالَاتِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ

تَأَلَّفَ

خَادِمُ عِلْمِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ

الْشَيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْهَرَرِيُّ

الْمَعْرُوفُ بِالْحَبَشِيِّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

دارُ المَشَارِقِ

المقالة الخامسة

قوله بالانتقال والحركة والنزول في حق الله تعالى

أما قوله بنسبة الحركة في حق الله تعالى فقد ذكر في كتابه المنهاج ما نصه^(١): «فإننا نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟» اهـ.

وقال في الموافقة ناقلاً كلام الدارمي المجسم ما نصه^(٢): «لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمانة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة» اهـ.

وقال فيه أيضاً ما نصه^(٣): «وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم كحرب الكرمانى وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرمانى أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وعبد الله ابن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات» اهـ.

أما قوله بالنزول في حق الله تعالى فقد ذكره في كتابه شرح حديث النزول فقال ما نصه^(٤): «لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب

(١) انظر الكتاب (١/٢١٠).

(٢) انظر الكتاب (٢/٢٦).

(٣) انظر الموافقة (٢/٤ - ٥).

(٤) شرح حديث النزول (ص/٣٨).

المقالة الخامسة

١١٥

هي من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة» اهـ.

وقال في كتابه المنهاج ما نصه^(١): «ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن إسحق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول وكتابه الفتاوى ما نصه^(٢): «والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول أيضًا^(٣): «وحينئذ فإذا قال السلف والأئمة كحماد بن زيد وإسحق بن راهويه وغيرهما من أئمة أهل السنة إنه ينزل ولا يخلو منه العرش لم يجز أن يقال: إن ذلك ممتنع» اهـ، ثم قال ما نصه^(٤): «وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف» اهـ.

فلينظر إلى هذه الأقوال من ابن تيمية وما ذلك منه إلا تمويه، فهو ينسب الرأي الذي يعجبه إلى أئمة أهل الحديث أو السلف وهم بريئون من ذلك، ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن أحد من أئمة الحديث إلا أن يكون من المجسمة المنتسبة إلى الحديث كأمثال الذي قال: ألزمني ما شئت من غير اللحية والعورة.

(١) انظر الكتاب (١/٢٦٢).

(٢) شرح حديث النزول (ص/٦٦)، مجموع فتاوى (٥/١٣١ و ٤١٥).

(٣) انظر الكتاب (ص/٩٩).

(٤) انظر الكتاب (ص/٩٩).

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ نَفْيَ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ عَنْ اللَّهِ هُوَ مَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ أَهْلِ السَّنَةِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيذِيَّةِ لَا يَعْلَمُ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ بَلْ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ السَّلْفِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيِّ فِي عَقِيدَتِهِ: «وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ» أَلَيْسَ مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ الْحَرَكَةُ وَالسَّكُونُ وَالْجُلُوسُ، أَلَيْسَ تَضَمَّنَ تَأْوِيلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَكْفُرُ بِكَ﴾ [سُورَةُ الْفَجْرِ] «جَاءَتْ قُدْرَتُهُ» نَفْيَ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ عَنْ اللَّهِ وَالتَّحْيِيزِ فِي الْعَرْشِ، فَلَوْ كَانَ يُعْتَقَدُ الْمَجْبِيُّ عَلَى ظَاهِرِهِ لَمَّا أُوِّلَ بَلْ تَرَكَ اللَّفْظَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الْمُشَبِّهَةِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْحَرَكَةُ وَالسَّكُونُ مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَمَا هِيَ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ بَعْضَ الْعَالَمِ سَاكِنًا كَالسَّمُوتِ وَالسَّيِّعِ وَالْعَرْشِ وَجَعَلَ بَعْضَ الْعَالَمِ مُتَحَرِّكًا دَائِمًا وَهِيَ النُّجُومُ، وَجَعَلَ بَعْضَ الْعَالَمِ مُتَحَرِّكًا تَارَةً وَسَاكِنًا تَارَةً كَالْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالذُّرَابِ؛ فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ الْخَالِقُ بِأَحَدِهِمَا، فَلَوْ كَانَ مُتَصِفًا بِأَحَدِهِمَا لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ كَثِيرٌ وَذَلِكَ يَنَافِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ كَثِيرًا مِمَّا شِئْتُ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى] فَلَوْ فَهَمَّتْ قَوْلُ السَّلَفِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفَ»، فَمَا مَعْنَى الْكَيْفِ إِلَّا نَفْيُ صِفَاتِ الْخَلْقِ عَنِ اللَّهِ وَمِنْهَا الْحَرَكَةُ وَالسَّكُونُ.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: «بَلَا كَيْفَ» إِثْبَاتُ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ وَالتَّنَقُّلِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُ ظَوَاهِرِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ.

وَيَكْفِي فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ نَقْلًا عَنِ الْحَافِظِ أَبِي سَلِيمَانَ الْخَطَّابِيِّ مَا نَصَّهُ^(١): «وَقَدْ زُلَّ بِبَعْضِ شَيْوُخِ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ يُرْجَعُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ، فَحَادَّ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حِينَ رَوَى حَدِيثَ النَّزُولِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: إِنْ قَالَ قَائِلُ كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ؟ قَبْلَ لَهُ: يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَإِنْ قَالَ: هَلْ يَنْتَحَرِكُ إِذَا نَزَلَ؟ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ يَنْتَحَرِكُ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَنْتَحَرِكْ، وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ عَظِيمٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسَّكُونِ

(١) الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ (ص/ ٤٥٤ - ٤٥٥).

المقالة الخامسة

١١٧

يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى). فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يُدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش اهـ.

وقال^(١) في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ بُيِّنْهُمْ بَيْنَ الْفَوَاحِشِ﴾ (سورة النحل) ما نصه: «لم يُرد به إتياناً من حيث النقلة» اهـ، وقال^(٢) في حديث النزول ما نصه: «إنه ليس حركة ولا نُقْلَة، تعالى الله عن صفات المخلوقين» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُؤُوسُ الْمَلَائِكَةِ صَفًّا صَفًّا﴾ (سورة الفجر) ما نصه^(٣): «والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جلَّ الله تعالى عما يقول المعطلَّة لصفاته والمشبَّهة بها علواً كبيراً» اهـ.

قال القرطبي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ (١٧) بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه^(٤): «وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً فيقول هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى»، صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال، وأن الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول، وقد روى «يُنزل» بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا» اهـ.

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٤٩).

(٢) الأسماء والصفات (ص/٤٤٩).

(٣) الأسماء والصفات (ص/٤٥٦).

(٤) تفسير القرطبي (٤/٣٩).

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه^(١): «استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يُفضي إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال» اهـ، وأفاض في ذكرهما، ثم قال: «وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: «إن الله يمهّل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له» الحديث. وفي حديث عثمان بن أبي العاص: «ينادي مناد هل من داع يستجاب له» الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال» اهـ.

قلت: وحديث عثمان بن أبي العاص أخرجه أحمد^(٢) في مسنده بلفظ: «ينادي مناد كل ليلة: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مستغفر فيغفر له، حتى ينفجر الفجر»، وأخرجه الطبراني^(٣) عنه بلفظ: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه»، الحديث، قال الحافظ الهيثمي^(٤) عقبه: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري قول البيضاوي ونصه^(٥): «وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه» اهـ.

(١) فتح الباري (٣/٣٠).

(٢) مسند أحمد (٤/٢٢).

(٣) المعجم الكبير (٩/٥١).

(٤) مجمع الزوائد (١٠/١٥٣).

(٥) فتح الباري (٣/٣١).

المقالة الخامسة

١١٩

وقال البيهقي في مناقب أحمد^(١): «أُنْبَأَنَا الْحَاكِمُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عمرو ابن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا عليّ يومئذ . يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين . فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الشواب، قال الله تعالى: ﴿وَبَاءَ رُكُوكُ﴾ [سورة الفجر] إنما يأتي قدرته، وإنما القرءان أمثال ومواضع.

قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به الشئنة انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فغير عن إظهاره إياها بمجيئه». اهـ.

ونقل الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في تفسيره زاد المسير^(٢) عن الإمام أحمد أنه فسر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رُكُوكُ﴾ [سورة النحل] بمجيء أمره والقرءان يفسر بعضه بعضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَهْمًا أَوْ أُنْهَيْكُمَا عَنْ يَلْكُمَا أَلْشَّجَرِ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّجَرَيْنِ لَكُمَا عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة الأعراف] فيه دليل على صحة رواية النسائي^(٣): «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْهَلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا...» فكما أن الله تعالى نسب نداء المَلَكِ لآدَمَ وحواءَ إلى نفسه لكونه بأمره، فكذلك صح إسنادُ نزولِ المَلَكِ إلى السماء الدنيا لِيَبْلُغَ عن الله: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ لَهُ، وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى، وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيَغْفِرَ لَهُ»

(١) نقله عنه ابن كثير في تاريخه (٣٢٧/١٠).

(٢) زاد المسير (٢٢٥/١).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: عمل اليوم والليلة: باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار.

المقالة الخامسة

١٢٠

إلى الله . وفي الآية أيضًا دليلٌ على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوتٌ يخرج من الله ، فمن هنا يؤخذ ردُّ اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك : هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له . فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لأدم وحواء بأن الله يقول لكما : ﴿ أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ أَلْشَّجَرَةَ وَاقِلًا لَكُمْ إِذْ أَنْتُمْ لَكُمْ عَنْدُ حُيٍّ ﴾ (سورة الأعراف) كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر الملك بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول : إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين : من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيهِ إلى آخر ما ورد فيه ، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفري فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيهِ . وتظيُّرُ هذا ما جاء في القرآن من قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانُكَ لِيَتَعَلَّ بِهٖ ﴾ (سورة الفاتحة) ﴿ إِذْ قَرَأَهُ فَأَلْقَ قُرْآنَهُ ﴾ (سورة الفاتحة) ، فقلوه تعالى : ﴿ إِذْ قَرَأَهُ ﴾ (سورة الفاتحة) معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا ، ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرآن على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ ، فهذا ينحل الإشكال الذي يخطر لبعض الناس .

ويلزم من التمسك بظاهر رواية البخاري ومالك وغيرهما^(١) لحديث النزول المشهور أن يكون الله فيما بين النصف الثاني من الليل والفجر مستمرًا في النزول والصعود إن حملوا النزول بالنسبة لكل أرض ، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد فنصف الليل في بلد هو أول النهار في بلد آخر وقد يكون في أرض أول الليل أو أقل أو أكثر ، وإن حملوا النزول على أرض واحدة فيما بين انتصاف ليلها وفجرها فبأي حجة خصصوا النزول بأرض واحدة ، والحديث ليس فيه بأرض كذا .

(١) أخرجه مالك في الموطأ : كتاب القرآن : باب ما جاء في الدعاء ، والبخاري في صحيحه : كتاب التهجد : باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ومسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه .

المقالة الخامسة

١٢١

قال بدر الدين بن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه^(١): «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجه.

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملاء كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين، إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين». اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في السنن الكبرى^(٢) ما نصه: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَبَآئِكُمْ رُؤُوسُ الْأَكْثَادِ﴾ صَافً صَافً ﴿سورة الفجر﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبّهة بها علواً كبيراً. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من

(١) انظر الكتاب (ص/١٦٤).

(٢) انظر السنن الكبرى (٣/٣).

المقالة الخامسة

١٢٢

يُقَيِّسُ الْأُمُورَ فِي ذَلِكَ بِمَا يَشَاهِدُهُ مِنَ النُّزُولِ الَّذِي هُوَ تَدَلٍّ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ وَانْتِقَالَ مِنْ فَوْقَ إِلَى تَحْتَ وَهَذِهِ صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ، فَمَا نَزَلَ مِنْ لَا تَسْتَوِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْأَجْسَامِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي غَيْرُ مَتَوَهِّمَةٍ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِ دَعَاءَهُمْ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا يَتَوَجَّهُ عَلَى صِفَاتِهِ كَيْفِيَّةً وَلَا عَلَى أَعْمَالِهِ كَمِيَّةً سَبِّحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ». اهـ..

فَلْيَعْلَمْ الْجَاهِلُ الَّذِي لَا تَمَيِّزُ لَهُ أَنَّهُ حَادٌّ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ، فَإِنَّ مِنْ أَوَّلِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ تَأْوِيلًا إجمالِيًّا قَالَ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ وَحَدِيثِ الْجَارِيَةِ وَشَبَّهَهُمَا، وَفِي آيَةِ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْمَجِيءِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رُؤُوسُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [سورة الفجر] وَشَبَّهَهُمَا مِنَ الْآيَاتِ: «بَلَا كَيْفَ»، وَمَرَّاهُمْ أَنَّ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ أَيْ لَيْسَ النُّزُولُ كَالنُّزُولِ الْحَسِّيِّ وَلَا الْإِسْتِوَاءُ بِمَعْنَى الْجُلُوسِ وَالْإِسْتِقْرَارِ، وَلَا الْمَجِيءُ بِالْإِسْتِقْرَارِ وَالْحَرَكَةِ وَمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِمْ بَلَا كَيْفَ أَنَّ لِهَذِهِ النُّصُوصِ مَعَانَ لَيْسَ فِيهَا تَشْبِيهُ لَصِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ الْخَلْقِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ أَوَّلُوا التَّأْوِيلَ التَّفْصِيلِيَّ كَالَّذِينَ أَوَّلُوا الْمَجِيءَ بِمَجِيءِ الْقُدْرَةِ أَيْ عَائِثِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَالنُّزُولِ بِنُزُولِ الْمَلِكِ أَوْ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَمَا أَشَبَّهَ ذَلِكَ كَتَأْوِيلِ الْإِمَامِ سَفِيَّانِ الثَّوْرِيِّ وَالْإِمَامِ الْبَخَارِيِّ وَجَهَ اللَّهُ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص] بِمَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَيُمْلِكُ اللَّهُ، فَلَمْ يَصِفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَكَيْلَا الْفَرِيقَيْنِ لَمْ يَتَمَسَّكَ بِظَوَاهِرِ تِلْكَ الْآيَاتِ وَتِلْكَ الْأَحَادِيثِ، فَكُلٌّ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَعَلَى أَنَّ تِلْكَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ لَيْسَ مَعَانِيهَا الْمَعْنَانِي الْمَعْهُودَةُ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا أَحَدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَعْتَقِدُ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ نَزُولًا حَسْبِيًّا كَنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ الْجُلُوسُ وَالْإِسْتِقْرَارُ عَلَى الْعَرْشِ أَوْ الْكُوفُ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ مِنْ غَيْرِ مِمَاسَةٍ، وَذَلِكَ تَمَسَّكَ مِنْهُمْ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَاطِرُ السُّجُودِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكَ تَبَعَ

المقالة الخامسة

١٢٣

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْآتَمِّعِ أَزْوَاجًا بِذُرِّيَّتِكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَيْتَلِيهِ شَيْءٌ وَهُوَ
الَّتَمِيعُ الْيَمِينُ ﴿١٢٣﴾ (سورة الشورى) الذي هو تنزيه كلي، فترد تلك الآيات
والأحاديث إلى هذه الآية لأنها محكمة. فنفاة التأويل الإجمالي والتفصيلي لا
مهرب لهم من الوقوع في المحال فيصبرون ضحكة عند أهل التمييز والفهم
الذين يوقفون بين النقل والعقل.

قال تقي الدين الحصني ما نصه^(١): «وفي مواضع أغراضهم - أي ابن
تيمية وأتباعه - الفاسدة يجرّون الأحاديث على مقتضى العرف والحس،
ويقولون: ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم
يقولون: لا كما يُعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عامي وسيء الفهم،
وذلك عين التناقض ومكابرة للحس والعقل، لأنه كلام متهافت يدفع
آخره أوله وأوله آخره» اهـ.

(١) دفع شيء من شيء وتعدد (ص/٧ - ٨).

قيل

مَجْمَعُ الْعُلَمَاءِ

للعلي الغفار

صايف

الحافظ شمس الدين الذهبي

محمد ناصر الدين الألباني

الكتب الإسلامية

الألباني يقول بأن اللفظتين (بذاته) و (بائن) لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة والسلف

البغوي (أنه لا يحجب تفسير (استوى) بـ (استقر) بل إنه بالغ في إنكار لفظة «بذاته» على جمع من قال: «هو تعالى فوق عرشه بذاته» لعدم ورودها عن السلف، مع أنها مفسرة لقولهم باستواء الله على خلقه حقيقة استواء يليق بجلاله وكماله، واعتبرها من فضول الكلام، فانظر ترجمة (١٣٣ - ابن أبي زيد) و (١٤١ - يحيى بن عمار) و (١٤٣ - أبو عمر الطَّلْمُكِيُّ) و (١٤٦ - أبو نصر السجزي).

وهذه اللفظة «بذاته»، وإن كانت عندني معقولة المعنى، وأنه لا بأس من ذكرها للتوضيح، فهي كاللفظة الأخرى التي كثر ورودها في عقيدة السلف وهي لفظة «بائن» في قولهم «هو تعالى على عرشه، بائن من خلقه». وقد قال هذا جماعة منهم كما ستراه في هذا المختصر في التراجم الآتية (٤٣ - عبدالله بن أبي جعفر الرازي) و (٥١ - هشام بن عبيد الله الرازي) و (٥٤ - مُسْنَدُ بن داود المصيصي الحافظ)، (٦٥ - إسحاق بن راهويه، عالم خراسان) وذكره عن ابن المبارك و (٥٧ - أبو زرعة الرازي) و (٧٦ - أبو حاتم الرازي) - وحكيه عن العلماء في جميع الأمصار. و (٧٧ - يحيى بن معاذ الرازي) و (٨٢ - عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ) و (١٠٠ - أبو جعفر ابن أبي شيبة) وكل هؤلاء من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ثم (١٠٥ - حماد البوشنجي الحافظ) وحكيه عن أهل الأمصار (١٠٦ - إمام الأئمة ابن خزيمة. و (١٢٢ - أبو القاسم الطبراني) و (١٣٠ - ابن بطّة) و (١٣٨ - أبو نعيم الأصبهاني) وعزاه إلى السلف. و (١٣٩ - معمر بن زياد) و (١٥٢ - الفقيه نصر المقدسي) و (١٥٥ - شيخ الإسلام الأنصاري) و (١٦١ - ابن موهب).

قلت: ومن هذا العرض يتبين أن هاتين اللفظتين: «بذاته» و «بائن» لم تكونا معروفين في عهد الصحابة رضي الله عنهم. ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة بالأعلام، بلفظه بائن، دون أن ينكره أحد منهم.

الألباني يعترض على الذهبي و ابن القيم

ومثل هذا تماماً قولهم في القرآن الكريم أنه غير مخلوق. فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضاً ، وإنما كانوا يقولون فيه : كلام الله تبارك وتعالى ، لا يزيدون على ذلك ، وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد ، لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة : إنه مخلوق ، ولكن إذا نطق هؤلاء بالباطل ، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير والمفاهيم لم تكن معروفة من قبل ، وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين مثل عن الواقفة الذين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل : « كلام الله » ثم يسكت ؟ قال : ولم يسكت ؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا ، لا شيء لا يتكلمون ؟! سمعه أبو داود منه كما في « مسأله » (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) .

قال قلت : والمقصود أن المؤلف رحمه الله تعالى ، أقر لفظة « باتس » لتتابع أولئك الأئمة عليها دون تكبير من أحد منهم ، وأنكر اللفظة الأخرى وهي « بذاته » لعدم تواردها في أقوالهم . إلا بعض المتأخرين منهم ، فأنكر ذلك مبالغة منه في المحافظة على نهج السلف ، مع أن معناها في نفسه سليم ، وليس فيها إثبات ما لم يرد ، فكنت أحب له رحمه الله أن لا يتردد في إنكار نسبة القعود إلى الله تعالى وإقحامه محمداً ﷺ على عرشه ما دام أنه لم يأت به نص ملزم عن النبي ﷺ ، ومعناه ليس له شاهد في السنة ، ومعناه ولفظه لم يتوارد على السنة الأئمة ، وهذا هو الذي يدل عليه بعض كلماته المتقدمة حول هذا الأمر ، ولكنه لما رأى كثيراً من علماء الحديث أفروا لم يجبروا على التزام التصريح بالإنكار ، وإنما تارة وتارة ، والله تعالى يغفر لنا وله .

ومن العجيب حقاً أن يعتمد هذا الأمر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فإنه نقل كلام القاضي أبي يعلى فيه وبعض أسماء الفائلين به ، ثم قال ابن القيم : رحمه الله :

(٩) قلت : ولو أن الشيخ القسبي شبه هذا لما فجع على الإمام أحمد بما فجع به .

الْأَلْبَانِيُّ يَبِينُ كَذِبَ ابْنِ الْقَيْمِ عَلَى مُجَاهِدٍ وَ الدَّارِقُطْنِيِّ

« قلت : وهو قول ابن جرير الطبري ، وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير ، وهو قول أبي الحسن الدارقطني ، ومن شعره فيه » .

ثم ذكره مثلاً ذكره المصنف فيما يأتي في ترجمة (١٣١ - الدارقطني) وزاد بيتاً رابعاً لعل المصنف نعمد حذفه :

« ولا تنكروا أنه قاعد » « ولا تنكروا أنه يقعد » !

قلت : وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد ، بل صح عنه ما يخالفه كما تقدم . وما عزاه للدارقطني لا يصح إسنادُه كما بيناه في « الأحاديث الضعيفة » (٨٧٠) ، وأشارت إلى ذلك تحت ترجمة الدارقطني الآتية . وجعل ذلك قولاً لابن جرير فيه نظر ، لأن كلامه في « التفسير » يدور على إمكان وقوع ذلك كما سبق لا أنه وقع وتحقق ، ولذلك قال الإمام القرطبي في « تفسيره » (١٠ / ٣١١) :

« وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول ، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى ، وفيه بعد ، ولا ينكر مع ذلك أن يروى ، والعلم يتأوله » .

ثم بين وجه تأويله ، بما لا حاجة بنا إلى ذكره والنظر فيه ، ما دام أنه أثر غير مرفوع ، ولو افترض أنه في حكم المرفوع ، فهو في حكم المرسل الذي لا يحتج به في الفروع فضلاً عن الأصول ، كما ذكرت ذلك أو نحوه فيما يأتي من التعليق على قوله بعضهم : « ولا نتكلم في حديث فيه فضيلة للنبي ﷺ بشيء » ! (التعليق (٢٦٥) .

ولعل للمصنف رحمه الله تعالى يشير إلى ذلك بقوله في ترجمة (١٦٢ - القاضي العلامة أبو بكر بن العربي) وقد نقل عنه القول بهذا القعود معه على العرش : قال :

« وما علمت للقاضي مستنداً في قوله هذا سوى قول مجاهد » .

وخلاصة القول : إن قول مجاهد هذا - وإن صح عنه - لا يجوز أن يتخذ

سِيرَةُ إِسْلَامِ النَّبِيِّ

تَأليف
الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي
المتوفى ٧٤٨ هـ

تدقيق
مُصَلِّفِي بَيْتِ الْقَادِسِيَّةِ

الطبعة الجديدة الكاملة والمؤلفة
وتشتمل على السيرة النبوية وألفاظ الأئمة والأخبار والآثار
المفقودة والآثار المسموعة والآثار المسموعة والآثار المسموعة
سيرة النبوة للفتاوى

المجلد السادس

المحتوى:

تمت الطبعة السادسة والطبعتان السابعة والثامنة

مكتبات
مكتبة دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مالك بن أنس الإمام

٣٢٩

أبو أحمد بن عدي: حدثنا أحمد بن علي المدائني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جابر، حدثنا أبو زيد بن أبي الغنم، قال: قال ابن القاسم: سألت مالكا عن حدث بالحديث: الذين قالوا: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)، والحديث الذي جاء: (إِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ عَنْ سَاقِهِ)، (وَأَنَّهُ يَدْخُلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ أَرَاةٍ). فأنكر مالك ذلك إنكارا شديدا، ونهى أن يُحدث بها أحد. فقيل له: إن ناسا من أهل العلم يتخذون به. فقال: من هو؟ قيل: ابن عجلان، عن أبي الزناد. قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالما. وذكر أبا الزناد، فقال: لم يزل عابلا لهؤلاء حتى مات. رواها: بمقدم الرُعيني، عن ابن أبي الغنم، والحارث بن مسكين، قال: حدثنا ابن القاسم.

قلت: أنكر الإمام ذلك، لأنه لم يثبت عنده، ولا اتصل به، فهو مذكور، كما أن صاحبه (الصحيحين) مذكوران في إخراج ذلك - أعني: الحديث الأول والثاني - لثبوت سندهما، وأما الحديث الثالث، فلا أعرفه بهذا اللفظ، فقولنا في ذلك وبابه: الإقرار، والإنكار، وتوقيض معناه إلى قابله الصادق المعصوم.

وقال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن خشان، حدثنا صالح بن الوليد، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك، قال: يَنْتَزِلُ رُبْنَا - تبارك وتعالى - أمرو، فأما هو، فدائم لا يزول. قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير، فقال: حسن والله، ولم أسمع من مالك.

قلت: لا أعرف صالحا، وحبيب مشهور، والمحموط عن مالك - رحمه الله - رواية الوليد بن مسلم، أنه سأل عن أحاديث الصفات، فقال: أمرها كما جاءت، بلا تغيير. فيكون للإمام في ذلك قولان: إن صححت رواية حبيب.

أحمد بن عبد الرحيم بن البرقي: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا عمرو بن خشان: أن أبا خلد بن خالد قال لمالك: يا أبا عبد الله، إن أهل دمشق يقرؤون: إبراهيم. فقال: أهل دمشق يأكل البطيخ أعلم منهم بالقراءة. قال له أبو خلد: إنهم يدعون قراءة عثمان. قال مالك: فهذا مصحف عثمان عندي. ودعا به، ففتحه، فإذا فيه: إبراهيم، كما قال أهل دمشق.

قلت: رسم المصحف محتفل بالقرامتين، وقراءة الجمهور أفضح وأولى. قال ابن القاسم: سألت مالكا عن علي وعثمان، فقال: ما أذكرت أحدا ممن أفتدي به إلا وهو يرى الكف عنهما. قال ابن القاسم: يريد التفضيل بينهما. فقلت: فأبو بكر، وعمرو؟ فقال: ليس فيهما إشكال، إنهما أفضل من غيرهما.

قال الحسن بن زهير: سمعت السائي يقول: أمتاء الله على علم رسول الله ﷺ ثلاثة: شعبة، ومالك، ويحيى القطان.

قال القاضي عياض: قال معن: انصرف مالك يوما، فليجته رجل يقال له: أبو الجويرية، فمهمم بالإزجاء، فقال: اسمع مني. قال: احذر أن أشهد عليك. قال: والله ما أريد إلا



بيان تناقضات رموز المشبهة
وأعلام المجسمة وتذليلهم في
شرح حديث النزول، وكلامهم
الصريح في التجسيم: من ابن
تيمية وتلاميذه إلى الألباني
وابن العثيمين.

تأليف المدعو عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تقديم المدعو صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الكتاب المسمى الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة، الجزء ١ / صفحة ٤٩ يقولون: وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته.

قول أهل
البدع:
نزول الله
حقيقي.

في الكتاب المسمى شرح العقيدة الواسطية الجزء ١ / صفحة ٢٠٩ يقولون: فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِالنُّزُولِ صِفَةً حَقِيقِيَّةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَشَاءُ، فَيُثَبِّتُونَ النَّزُولَ كَمَا يُثَبِّتُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الَّتِي ثَبَّتَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَقْفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ وَلَا يَنْفُونَ وَلَا يُعْطِلُونَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ يَنْزِلُ.

(في الأصل) تأليف ابن عبد الوهاب - ومحمد خان القنوجي - محمود شكري الألوسي (توسع فيها)

في الكتاب المسمى قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر الجزء ١ / صحيفة ٥٧ يقولون: وأما أهل النفي والجحود، فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا حال فيه، ولا فوق العالم، ولا فيه، ولا ينزل منه شيء.

تأليف المدعو عبد الرحمن بن ناصر السعدي

في الكتاب المسمى التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه من
المباحث المنيفة، الجزء ١ / صفحة ٥١ يقولون: وأن نزوله حقيقة
كيف يشاء.

في كتاب الألباني المسمى السلسلة الصحيحة الجزء ٦ / صح
٥٠ يقول: وقد أورد الحديث على الصواب فيها (ص ٣٧٣) واستدل
به على نزوله تعالى بذاته عشية عرفة.

قول
المجسمة:
الله ينزل
بذاته.

في الكتاب المسمى قسم العقيدة قيل (الأسماء والصفات) لابن
عشيمين الجزء ٩ / صحيفة ٢٦ يقول: ولهذا لم يتكلم الصحابة فيما أعلم
بلفظ الذات في الاستواء والنزول، أي لم يقولوا: استوى على العرش
بذاته، أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، لأن ذلك مفهوم من اللفظ، فإن
الفعل أضيف إلى الله تعالى، إما إلى الاسم الظاهر، أو الضمير، فإذا
أضيف إليه كان الأصل أن يراد به ذات الله عز وجل لكن لما حدث
تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر
الذات.

وفي الجزء ١٠ / صحيفة ٢ قيل (باب النزول) يقول: الله تعالى نفسه
ينزل حقيقة.

وفي الجزء ٣٢ / صحيفة ٣٩ قيل (القواعد المثل في صفات الله
وأسمائه) يقول: فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده
أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم،

فيحيي، ويُميت، ويغني، ويُفقر، ويُؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء.

قيل: ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

وفي الجزء ٣٣ / صفحة ٢٨ قيل (فتح رب البرية بتخليص الحروفية) يقول: ونزوله تعالى: إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

وفي الجزء ٣٤ / صحيفة ١٩ قيل (تعليقات على العقيدة الواسطية) يقول: ومعنى النزول عند أهل السنة أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولا حقيقياً يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو.

وفي الجزء ٣٦ / صحيفة ١٥ قيل (شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل...) يقول: وهو نزول حقيقي يليق بالله.

ابن عثيمين في كتابه المسمى شرح الواسطية القسم الثالث الجزء ٦١ / صحيفة ١٨ يقول: فإذا آمنت بأنه ينزل حقيقة علمت أن هذا ليس بمستحيل.

وصحيفة ٣٤ يقول: وقوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»: نزوله تعالى حقيقي. وصحيفة ٣٥ يقول: بهذا يتبين لكل إنسان قرأ هذا الحديث أن المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول: بذاته، ما

دام الفعل أضيف إليه، فهو له، لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته، لأنهم لجئوا إلى ذلك، واضطروا إليه، لأن هناك من حرفوا الحديث. وصحيفة ٣٦ يقول: فنقول: هو ينزل حقيقة مع علوه حقيقة.

في كتاب ابن عثيمين المسمى شرح العقيدة السفارينية ٢، الجزء ٧١ / صحيفة ٢٠ يقول: ولا نقول: ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، ما دام أن قيل: الفعل مضاف إلى الله فهو صادر منه، لكن ورد في كلام بعض السلف، قوهم: إن الله استوى على العرش بذاته، ومرادهم بهذا الرد على قول من قال: إن الله استوى على العرش.

وصحيفة ٢١ يقول: حيثئذ نضطر إلى أن نقول: (بذاته): (ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) (٢٤).

لا نزيد ونقول: ينزل بذاته، لأن الله أضاف النزول إليه نفسه، فإذا قال: (ينزل) يعني هو نفسه ينزل، ما حاجه إلى أن نقول: (بذاته)، لكن لا قال المعطلون: إنه ينزل أمره، احتاج أهل السنة أن يقولوا: إنه ينزل بذاته يعني ينزل ذاته.

وفي صحيفة ٥٣ يقول: ينزل نزولا حقيقياً بذاته إلى السماء الدنيا. وفي صحيفة ٥٤ يقول: وقد أجمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم، على أن المراد ينزل ربنا بذاته. والدليل على إجماعهم: أنه لم يأت عنهم حرف واحد يقولون: إن المراد ينزل شيء آخر غير الله.

قول
المجسمة:
الله ينزل
بذاته.

ابن عثيمين في ما يُسميه قسم العقيدة، شرح العقيدة السفارينية الجزء ٧١ / صحيفة ٧٨ يقول: حتى بعض السلف أنكر أن تقول: أن الله استوى على العرش بذاته أو أن الله ينزل بذاته، لكن الذين قالوها اضطروا في ذلك الوقت إلى أن يقولوا هذا.

ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، قيل: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء الجزء ١٢ / صحيفة ١٩٠ تيقول: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء بل هي على طريقة السلف الصالح.

س: هل صحيح أن الوهابية تناصب آل البيت العداء، وأنها تنتقص من سيد الخلق، وما حقيقة الدعوة الوهابية؟ ولماذا تحارب بهذا الشكل؟.

ج: الوهابية منسوبة إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ، وهو الذي قام بالدعوة إلى الله سبحانه في نجد، وأوضح للناس حقيقة التوحيد والشرك، ودعا الناس إلى توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه، وترك التعلق على أصحاب القبور، ممن يسمون بالأولياء، ودعائهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنذر لهم، وهكذا من يتعلق بالجن أو بعض الأشجار والأحجار، وأوضح الناس هو وأتباعه من العلماء: أن هذا هو الشرك الأكبر.

قيل: وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، إلى أن توفي رحمه الله في التاريخ المذكور، وساعده في ذلك ونصر دعوته الإمام محمد

بن سعود رحمه الله، جد الأسرة المالكة اليوم من آل سعود، وناصر دعوته وقام بها كل من لديه علم بما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق، فانتشرت دعوته رحمه الله في نجد وملحقاتها، وأيدها علماء السنة في نجد والحجاز واليمن، وفي مصر والشام والعراق، والهند وغيرها. وحقيقتها هي الدعوة إلى ما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من توحيد الله، والإخلاص له وتحيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله ومتابعة رسوله ﷺ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله والذبح والنذر لغير الله.

ابن باز في كتابه المسمى نور على الدرب، قيل: باب الافتراء على الإمام محمد بن عبد الوهاب، الجزء ١ / صحيفة ١٨ يقول: أما الوهابية فهم أتباع الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رحمه الله، فهو إمام مشهور دعا إلى الله عز وجل في نجد في القرن الثاني عشر.

ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، الجزء ٤ / صحيفة ٢٣٣ يقول: وليت الوهابية حسب تعبير الكاتب بدعا في إنكار مثل هذه الأمور البدعية، بل عقيدة الوهابية: هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله. وفي مجموع فتاويه الجزء ١٢ / صحيفة ١٩١ يقول ابن باز: كما أن الوهابية يسرون على منهج السلف الصالح.

يقول ابن عثيمين في كتابه المسمى (تفسير القرآن للعثيمين) في تفسيره لسورة الحديد، الجزء ١٥ / صحيفة ١٠: إذن بطل أن يكون معنا بذاته في أمكنتنا لأنه إما أن يكون متعدداً، وإما أن يكون متجزئاً، وكلاهما باطل.

فهرس

٣

• مقدمة

- بيان الدلالة اللغوية للفظ (النزول) من أقوال العلماء ٣٣
واللغويين والمفسرين، وأنه لا ينحصر في معاني الحركة
والانتقال، بل يأتي بعدة معانٍ: حقيقةً ومجازيةً.
- بيان النقول الثابتة الصريحة من نصوص أعلام الأئمة ٦٩
والمفسرين وشُراح الحديث، من السلف والخلف،
والمذاهب الأربعة، في شرح وتأويل حديث النزول
بما يوافق عقيدة الهدى والتوحيد، ويُبطل مزاعم أهل
التشبيه والتجسيم والضلال.
- فائدة مهمة في بيان تأويل المجيء الوارد في قوله تعالى ١٩٣
(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)
- بيان تناقضات رموز المشبهة وأعلام المجسمة وتذبذبهم ٢١٥
في شرح حديث النزول، وكلامهم الصريح في التجسيم:
من ابن تيمية وتلاميذه إلى الألباني وابن العثيمين.

لُبَابُ النُّقُولِ

في تأويل حديث النزول

مكتبة دار الفقه الإسلامي
بيروت - لبنان - تلفون: ٤٣١١ / ٣٠١
www.dmcpublisher.com

